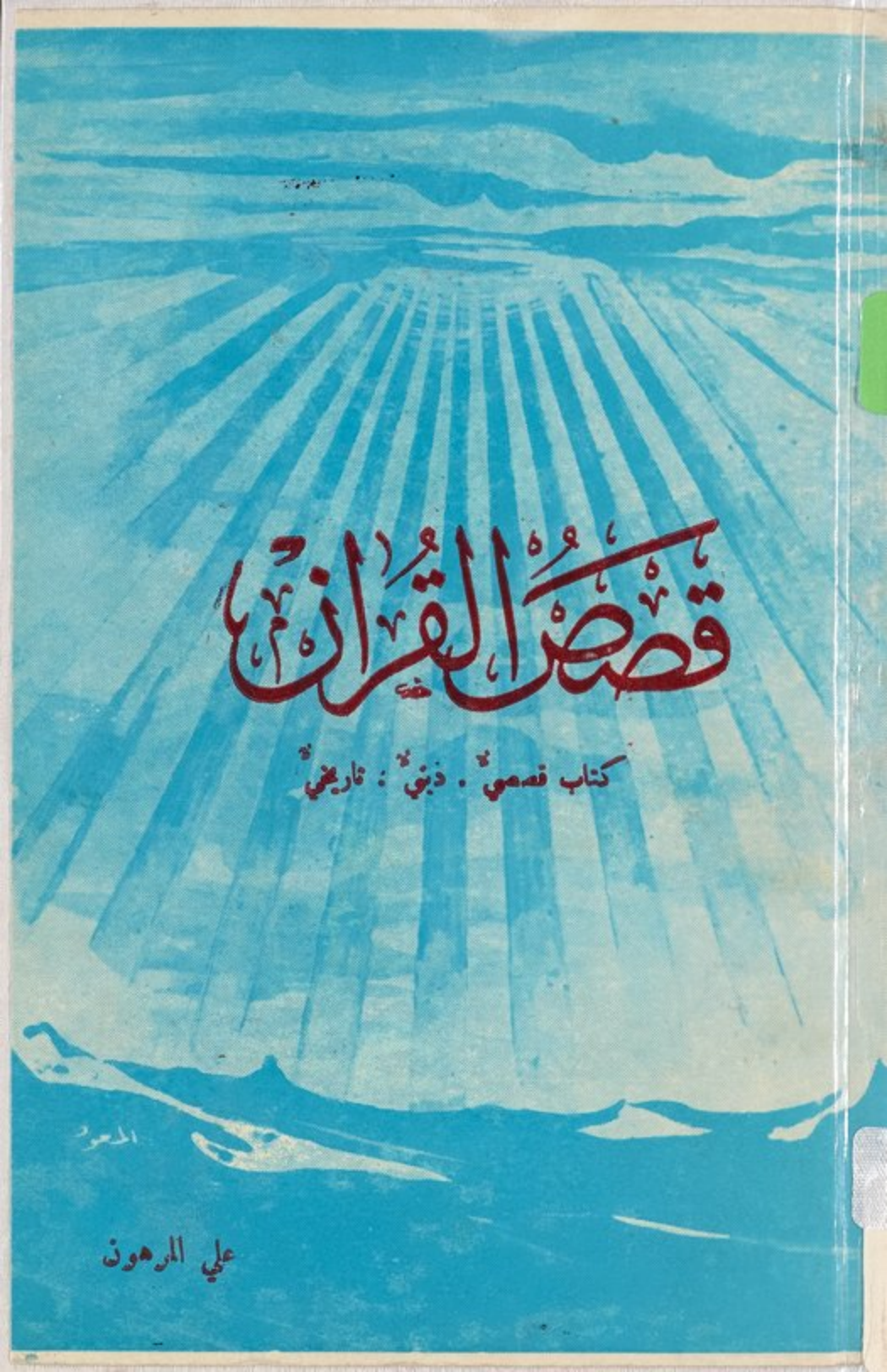
قصص القرآن
كتاب قصصي . ديني . تاريخي
علي المرهون

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Marhūn

قصص القرآن

كتاب قصصي . ديني . تاريخي

لمؤلفه

علي الشيخ منصور المرهون القطيفي

الطبعة الثانية

حقوق الطبع للناشر

(محمد كاظم الحاج محمد صادق الكتبي)

صاحب

المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الاشرف

منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الاشرف

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م

(RECAP)
BP130
.58
.M37
1964

﴿ فاتحة الكتاب ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلحمدُ لله ربِ العالَمينَ * الرَّحمن
الرحيم * مالكِ يومِ الدينْ * إياك
نعبدُ وإياك نَستعينُ * إهدنا الصراطَ
المُستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهمْ
غيرِ المغضوبِ عليهمْ * ولا الضالين *

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾

من قصص القرآن المجيد ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ أولى لك من سرد قصص إن هي لم تضر لم تنفع من كتاب : ألف ليلة وليلة ، وعنتر ، وأمثالهما ، مما ولدته الخياليات المنغمسة في بحور الخلاعة .

فهذا هو بين يديك : نقدمه اليك بغير عناء ولا مشقة ولا تعب عليك ، نحاول به سد فراغ طالما كان شاغراً منذ زمن بعيد بصورة خاصة ، وان كان مشغولا به بصورة عامة ، ولكن

مبتغيه يحتاج الى عناء كبير من جمع كتب قد لا يكون فى وسعه جمعها ، فهو بالنظر إلى هـذا واقع في محله حيث انه مقصود به النفع العام .

ولم تكن هذه الفكرة وليدة وقت يسير ، بل كانت تعاود مفكرتي طيلة سنين ، وقد وددت أن يقوم بها أحـد فرسان هذا الميدان ممن لهم اليد الطولى في التأليف والجمع فلم أعثر على ذلك ، وكم كان سروري حين رأيتها فى مكة المكرمة خارجة من مصر بتلك الحلة القشيبة فيما يزيد على أربعمائة صفحة فابتعتها بمـا قال بائعها ، غير اني فحصتها وجدتها فكرة خيالية مستمدة من عناوين القصص القرآنية لا أقل ولا أكثر ، وليسمح لي المؤلف أن أقول ان كتابه لسم على غير مسمى .

وما زال الضمير متعلقاً بتحقيق هـذه الأمنية حتى اطمأنت بي الدار في النجف الأشرف وهيأ الله سبحانه وتعالى أسباب المساعدة على اظهارها الى الوجود وصحت العزيمة على التأليف والجمع ، فبادرت لذلك مثابراً معها امكنت الفرصة من

ساعات الليل والنهار فتم ذلك بعون الله وحسن توفيقه في مدة شهرين كاملين .

ومن الانصاف أن لا أنسى تلك المساعدة التامة التي قام بها الأخ الكريم الشيخ محمد كاظم الكتبي ازاء هذا الموضوع فما هو إلا أن أنجز من تحت القلم حتى سيره في طريقه إلى المطبعة حرصاً على انجـــازه وعموم نفعه واجتناء ثمراته فجزاه الله خير جزاء المحسنين .

٥ ـ ٦ ـ ٧٥ المؤلف

قتل فرعون لابناء بني اسرائيل

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابنائكم ويستحيون نسائكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ والسبب في قتل الأبناء ان فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا أنه يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت ووكل بهن فكن يفعلن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم وبموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فامر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك ، وولد موسى في السنة التي

يذبحون فيها فضاقت به امه ذرعا فاوحى الله تعالى اليها ﴿ ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم ﴾ ففعلت به ذلك فتألم ضميرها شديداً ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به ﴾ فارشدتهم على امه فكانت النهاية كما قال تعالى ﴿ فرجعناك الى امك كي تقر عينها ﴾ .

— ٢ —

غرق فرعون وقومه في البحر

قال تعالى : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ وجملة قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى اوحى إلى موسى ان يسري ببني إسرائيل فسرى من مصر ليلا فاتبعهم فرعون في الف الف حصان سوى الأناث وكان يمشي في ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا ومن معه فقال موسى : عسى ربكم يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ، فقال له يوشع بن نون بم امرت؟ قال أمرت أن أضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى أوحى الى البحر ان اطع موسى إذا ضربك قال فبات البحر له افكل اي رعده لا يدري

في أي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقاً فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقاً نديا فارسل الله ريح صبا حتى جففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا فجروا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض مالنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى ابن أصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله تعالى اليه ان مل بعصاك هكذا وهكذا يميناً وشمالا فاشار بعصاه يميناً وشمالا فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم الى بعض ، فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق وتقحم البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعاً ونجى موسى ومن معه .

— ٣ —

العجل والسامري

﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل وانتم ظالمون ﴾

روي عن ابن عباس قال : كان السامري رجلا من أهل باجرمي قيل اسمه ميخا ، وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر كان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان اظهر الاسلام في بني إسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هارون في بني إسرائيل قال هارون قد

حلتم اوزاراً من زينة القوم يعني آل فرعون فتطهروا منها فانها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حلياً واستبدوا بها فقال هارون طهروا أنفسكم منها فانها نجسة واوقد لهم ناراً فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقذفون به فيها ، قال: وكان السامري رأى أثر فرس جبرئيل فاخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقال لهارون يا نبي الله أ ألقي ما في يدي ؟ قال : نعم وهو لا يدري ما في يده ويظن انه مما يجيء به غيره من الحلي والامتعة فقذف فيها وقال : كن عجلا جسداً له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا إلهكم وإله موسى فعكفوا عليه واحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً ، قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة ، وقيل ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجرى العادة اذا طرحت على أي صورة كانت حييت فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حياً تأول الخوار على ان السامري صاغ عجلا وجعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار يدعوهم الى عبادته فاجابوه وعبدوه

— ٤ —

بقرة بني اسرائيل

﴿ وإذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ﴾ .

كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعا إلى الرضا «ع» ان رجلا من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه وطرحه

على طريق أفضل سبط من الاسباط بني إسرائيل ، ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط افلان قتل فاخبرنا من قتله قال ائتوني ببقرة قالوا أتتخذنا هزواً الآية ولو انهم عمدوا الى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك أي لاصغيرة ولا كبيرة الى قوله ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال : لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً فجاؤا إلى موسى فقالوا له ، قال فاشتروها .

قال: وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله بعض اصحابه ان هذه البقرة ما شأنها ؟ فقال ان فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه فوجده نائماً والاقليد تحت رأسه فكره ان يوقظه فترك ذلك واستيقظ أبوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوض لما فاتك ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنظروا إلى البر مابلغ باهله

وقال ابن عباس : كان القتيل شيخاً ثرياً قتله بنو أخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا إلى موسى فسئل من عنده عنهم فقالوا أنت نبي الله وانت أعلم منا فاوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بذبح بقرة فامرهم موسى أن يذبحوا بقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين من قتله ، وقيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليرثه ، وقيل انما قتله ليتزوج ابنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني إسرائيل فانعم له فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حمله الى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله فقال

لا ادري ، وكان القتل في بني إسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى ، وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلام .

وعن ابن عباس : كان في بني إسرائيل رجل صالح له ولد طفل وكان له عجلة فأتى إلى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل وثبت العجلة في الغيضة وصارت عواناً وكانت تهرب من كل من رامها فلما كبر الصبي كان باراً بوالدته وكان يقيم الليل اثلاثاً للنوم والصلاة ولخدمة أمـــه فاذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا واستودعها فانطلق اليها وادع بالله ابراهيم واسحاق ويعقوب ان يردها عليك وان من علامتها انك إذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفائها فأتى الى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسحاق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت يا ايها الفتى البار بوالدته اركبني ليكون أهون عليك فقال الفتى ان امي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها قالت البقرة بالله بني إسرائيل لو ركبتني ماقدرت علي ابداً فسر لو امرت الجبل ان ينقلع لفعل لبرك بوالدتك فصار بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والسهر بالليل فانطلق وبع هذه البقرة وانتفع بثمنها فقال لها بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير على رضا مني ومشورتي وكان ثمن البقرة ذلك الوقت ثلاثة

دنانير فأنطلق الفتى بها الى السوق فقال له رجل بكم تبيع هذه البقرة يافتى قال : بثلاثة دنانير على مشورة من أمي فقال له الرجل خذ ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال الفتى لو اعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا امي فردها الى امه واخبرها بالثمن فقالت له اذهب فبعها بستة دنانير على مشورة مني فردها الى السوق فقال له الرجل استأمرت امك قال نعم انها امرتني أن لاانقصها من ستة دنانير على ان استأمرها قال فاني اعطيك اثني عشر ديناراً على أن لا تستأمرها فابى الفتى ورجع إلى امه فاخبرها فقالت له يوشك ان يكون هذا ملك من الملائكة فاذا أتاك فقل له تقول لك امي أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟ ففعل فقال له اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء جلدها دنانير فامسكوا هذه البقرة ، فلما قتل ذلك القتيل قدر الله تعالى على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فطلبوها فوجـــدوها عند الفتى فاشتروها بملء جلدها ذهباً .

— ٥ —

أول صحة نزل المدينة قبل الهجرة

﴿ ولما جائهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جائهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على

الأوس والخزرج رسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فلما بعثه الله تعالى من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يامعشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتصفونه وتذكرون انه مبعوث فقال سلام بن مسلم أخوا بني النضير ما جائنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى هذه الآية، وروي العياشي باسناده رفعه الى ابي بصير عن ابي عبد الله «ع» قال كانت اليهود تجد في كتبها ان مهاجرة محمد رسول الله (ص) ما بين عير واحد - وهما جبلان حول المدينة المنورة - فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد واحد سواء فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء الى بعض اخوانهم فمر بهم اعرابي من قيس فتكاروا منه وقال لهم امركم ما بين عير واحد فقالوا له اذا مررت بهما فآذنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال ذلك عير وهذا أحد فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا قد اصبنا بغيتنا فلا حاجة بنا الى ابلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين بفدك وخيبر انا قد اصبنا الموضع فهلموا الينا فكتبوا اليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقربنا منكم فاذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم واتخذوا بارض المدينة اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبعاً ففزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم اني قد استطبت بلادكم ولا اراني إلا مقيما فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم فاني

مخلف فيكم من امرني من اذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حيين تراهم الاوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون اموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم اما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله آمنت به الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ إلى آخر الآية.

— ٦ —

قصة هاروت وماروت

﴿ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ الآية.

بناء على ان هاروت وماروت من جملة الملائكة كان السبب في هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقالت طائفة منهم يا ربنا اما تغضب مما يعمل خلقك في ارضك ومما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبون من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فاحب الله سبحانه ان يعرفهم ما منّ به عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الارض واجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة

قولا فى العيب لولد آدم واستجرار عتب الله عليهم قال فاوحى الله اليهما ان أهبطا إلى الارض فقد جعلت فيكما من المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت فى ولد آدم وانظرا أن لا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فاقبلا نحوه فاذا امرأة جميلة حسناء أقبلت نحوهما فوقعت فى قلوبهما موقعاً عظيما شديداً ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراوداها عن نفسها فقالت ان لي ديناً ادين به ولست أقدر في ديني ان أجيبكما الى ما تريدان الا أن تدخلا في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى أن أجيبه الى كل ما سألنى قالا وما الهك قالت هذا الصنم قال فأمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سألت قالت فدونكما شرب الخمر فانه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان قالا هذه ثلاث خصال وقد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا وشر الخمر فامرا بينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك قال فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رأياه فزعا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأة الحسناء انكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتيكما وانتما مطمئنان آمنان قال فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سوأتهما ونزع عنهما رياشهما وسقط فى أيديهما فاوحى الله

تعالى اليهما اني اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصياني باربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا مني وقد كنتما أشد من ينقم على اهل الارض من المعاصي فاختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيامة (نستجير بالله من عذابه) .

— ٧ —

زيارة ابراهيم لولده اسماعيل

﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ .

ابن عباس قال : لما اتى إبراهيم باسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة ان يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لاينزل فقدم ابراهيم «ع» وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك ؟ قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وماعندي احد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرأيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم فجاء اسماعيل فوجد ريح ابيه فقال لها هل

جائك احد قالت جائني رجل صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك ؟ قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إنشاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجائت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جائت يومئذ بخبز او بر او شعير او تمر لكان أكثر بلاد الله براً وشعيراً وتمراً فقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجائت بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدميه عليه فبقى اثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى اثر قدمه الايسر عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جائك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها اسماعيل ذاك ابي ابراهيم وأكب على المقام يبكي ويقبله (وروى) عبد الله بن عمر عن رسول الله (ص) انه قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لا ان نورهما طمس لأضاءا ما بين المشرق والمغرب .

قصة مهاجرة اسماعيل وهاجر

﴿ و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ﴾ .

روي علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق «ع» قال ان ابراهيم كان نازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر اسماعيل اغتمت سارة من ذلك غماً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذي ابراهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك ابراهيم الى الله عزوجل فاوحى الله اليه انما مثل المرأة مثل الضلع المعوج ان تركته استقامت به وان رمت ان تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك :

هي الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها

ثم أمره أن يخرج اسماعيل وامه عنها فقال اي رب الى اي مكان قال الى حرمي وامني واول بقعة خلقتها من ارضي وهي مكة وانزل عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر واسماعيل وابراهيم فكان ابراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرئيل الى ها هنا فيقول جبرئيل لا امض لا امض حتى وافى مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان ابرهيم عاهد سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته فلما سرحهم

ابراهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال لها ابراهيم ربي الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بذي طوى التفت اليهم وقال (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) الى قوله لعلهم يشكرون ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع المسعى فنادت هل في الوادي من انيس فغاب عنها اسماعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها اسماعيل ثم لمع السراب من ناحية الصفا وهبطت الى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت الى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فقعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تعكف الطير على المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لها جرهم ما شأنك ومن انت وماشأن هذا الصبي؟ قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه امره الله تعالى ان ينزلنا ها هنا فقالوا لها أتأذنين ان نكون بالقرب منكم فقالت حتى اسأل ابراهيم قال فزارها ابراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله ان ها هنا قوما من جرهم

يسألونك ان تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا أفتأذن لهم في ذلك فقال ابراهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وانست هاجر واسماعيل بهم فلما زارهم ابراهيم في المرة الثانية ونظروا الى كثرة الناس حولهم سر سروراً شديداً فلما تحرك اسماعيل وكانت جرهم قد وهبوا لاسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها

« فلما » بلغ الرجال أمر الله تعالى ابراهيم أن يبني البيت فقال يارب في اي بقعة قال في البقعة التي انزلت فيها على آدم القبة فاضائت الحرم قال : ولم تزل القبة التي انزلها الله على آدم قائمة حتى كان ايام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لأنه اعتق من الغرق فلما أمر الله تعالى ابراهيم ان يبني البيت لم يدر في أى مكان يبنيه فبعث الله جبرئيل فخط له موضع البيت وأنزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على آدم أشد بياضاً من الثلج فلما امسته ايدي الكفار اسوّد ، قال فبنى ابراهيم البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ثم دلّه على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذي الى المغرب يسمى المستجار ثم القى عليه الشيح والاذخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج ابراهيم واسماعيل ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية فحمان خلت من ذي الحجة فقال يا ابراهيم قم فارتو من الماء لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك ثم اخرجه الى منى فبات بها

وفعل به ما فعل بآدم فقال ابراهيم لما فرغ من بناء البيت قال (رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله الثمرات) الآية .

— ٩ —

لا يدفع القدر الحذر

﴿ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون ﴾ قيل ان إسم القرية التي خرجوا منها هرباً من وبائها داوردان قُبيل واسط قال الكلبي والضحاك ومقاتل ان ملكاً من ملوك بني إسرائيل امرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جنبوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا إن الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في نفسهم حتى يعلموا إنهم لايستطيعون الفرار منك فاماتهم الله جميعاً وأمات دوابهم وأتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخت واروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا وأتى على ذلك مدة حتى بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل وجعل يتفكر فيهم متعجباً منهم فاوحى الله اليه ياحزقيل تريد أن أريك آية واريك كيف أحيي الموتى قال نعم فاحياهم الله ، وقيل انهم كانوا قوم حزقيل فاحياهم الله بعد

ثمانية أيام وذلك انه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يارب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك فبقيت وحيداً لاقوم لى فاوحى الله اليه قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا ، وسأل حمران بن اعين أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم فقال أحياهم حتى نظر الناس اليهم ثم أماتهم أم ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام قائل لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم .

— ١٠ —

داود وجالوت

﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ﴾ الى قوله تعالى ﴿ فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ﴾ .

وكان من قصة داود على ما رواه علي بن ابراهيم بن هاشم عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى اوحى إلى نبيهم ان جالوت يقتله من يستوى عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود ابن ايشا وهو راع وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى ايشا بان احضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فالبسه درع موسى فمنهم من

طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت من ولدك أحداً قال نعم أصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث اليه فلما دعي أقبل ومعه مقلاع قال فنادته ثلاث صخرات فى طريقه يا دود خذني فاخذها في مخلاته وكان حجر الفيروزج وكان داود شديد البطش شجاعا قويا في بدنه فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف حذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة تلمع نوراً وجنوده بين يديه فأخذ داود حجراً من تلك الاحجار فرمى به في ميمنة جالوت فوقع عليهم فانهزموا واخذ حجراً آخر فرمى في ميسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث الى جالوت فأصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الارض ميتاً وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرماه بحجر من مقلاعه فوقع بين عينيه وخرج من قفاه وأصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم .

— ١١ —

وفد نجران

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورات والانجيل من قبل هدىً للناس وانزل الفرقان ﴾ .

نزلت أوائل السورة الى نيف وثمانين في وفد نجران وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم اربعة عشر ثلاثة نفر

يؤول اليهم أمرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذين لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة ابن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه وموّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله (ص) ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فى جمال رجال حرث ابن كعب يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله (ص) فقالت الصحابة يا رسول الله هذا فى مسجدك فقال رسول الله (ص) دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله فقال لهما رسول الله اسلما فقالا اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولداً لله فمن ابوه وخاصموه جميعاً فى عيسى فقال لهما النبي ألستم تعلمون انه لا يكون ولد إلا ويشبه اباه ؟ قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء ؟ قالوا بلى ، قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا ، قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا فى السماء قالوا بلى ، قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علّم ؟ قالوا نعم لا يعلم إلا ما علم ، قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى ، قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه

كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث ؟ قالوا بلى ، قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية .

— ١٢ —

حفر خندق المدينة

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ .

قيل لما فتح رسول الله (ص) مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم الم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس فنزلت هذه الآية . عن ابن عباس وانس بن مالك وقيل ان النبي (ص) خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي (ص) سلمان منا أهل البيت ، قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان اذهب الى رسول الله (ص)

وأخبره خبر هذه الصخرة ، فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب وأما أن يأمرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحتك منا قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله (ص) مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله «ص» المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله «ص» تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون واخذ بيده سلمان ورقى فقال سلمان بأبي انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله الى القوم وقال رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا نعم يارسول الله قال ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم اضائت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم اضائت لي منها قصور حمر من ارض الروم كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم اضائت

لي منها قصور صنعاء كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا وامتبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم إنما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن ﴿ وإذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ وأنزل الله تعالى في هذه القصة ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك ﴾ الآية .

— ١٣ —

وفد نجران والمباهلة

﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من التراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ماجائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ .

قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله (ص) هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزل ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ فقرأها عليهم .

عن ابن عباس وقتاده والحسن : فلما دعاهم رسول الله (ص) الى المباهلة واستنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الاسقف انظروا محمداً في غد ، فان غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته

وإن غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير شيء ، فلما كان الغد جاء النبي (ص) آخذاً بيده علي بن ابي طالب «ع» والحسن والحسين «ع» بين يديه يمشيان وفاطمة «ع» تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما رأى النبي قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق اليه وهذان إبنا ابنته من علي وهذه الجارية ابنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة فكع ولم يقدم على المباهلة فقال له السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني لأرى رجل جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقا ولان كان صادقا لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الاسقف يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله على الفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رمحا وثلاثين فرساً ان كان باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا .

وروي : ان الأسقف قال لهم اني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة وقال النبي (ص) والذي نفسي بيده لولا عنوني لمسخوا قردة وخنازير ولا ضطرم عليه الوادي ناراً ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا الى النبي واهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين وأسلما .

غزوة أحد

﴿ وإذ غدوت من اهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : كان سبب غزوة أحد ان قريشاً لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون واسر سبعون قال ابوسفيان يامعشر قريش لاتدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فان الدمعة إذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزوا رسول الله (ص) يوم أحد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك جمع اصحابه وحثهم على الجهاد فقال عبدالله ابن ابي سلول يارسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والامة على أفواه السكك والسطوح فما أرادها قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا وما خرجنا الى عدو لنا قط إلا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام ، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا ، لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله ، فقبل رسول الله رأيه وخرج مع نفر من اصحابه يتبؤون موضع القتال كما قال تعالى ﴿ وإذ غدوت

من أهلك) الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي سلول وجماعة من الخوارج اتبعوا رأيه ووافت قريش إلى أحد وكان رسول الله (ص) عبأ أصحابه وكانوا سبعمائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير واصحابه ان رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مأتي فارس كميناً وقال إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا ورائهم وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام وحمل الانصار على قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووضع اصحاب رسول الله في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مأتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب ابن جبير اصحاب رسول الله ينتهبون سواد القوم فقالوا له قد غنم اصحابنا ونبقى نحن بلاغنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان رسول الله تقدم الينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه وأقبلوا ينسل رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا وكانت راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة العبيدي من بني عبد الدار فقتله علي «ع» وأخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي وسقطت الراية فاخذها مسافع بن ابي طلحة فقتله علي حتي قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم الى عبد اسود لهم يقال له صواب فانتهى اليه علي فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين إلى

صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل اعتذرت في بني عبد الدار فضربه على رأسه فقتله وسقط اللواء فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله (ص) هزيمة عظيمة وأقبلوا يصعدون في الجبال في كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال انا رسول الله انا رسول الله الى اين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلا ومكحلة وقالت انما انت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب (رض) يحمل على القوم فاذا رأوه انهزموا ولم يثبت له احد وكانت هند قد اعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبد الجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشي ، اما محمد فلا اقدر عليه واما علي فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكنت لحمزة فرأيته يهد الناس هدا فربي فوطىء على جرف نهر فسقط واخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثيته فسقط فاتيته وشققت بطنه واخذت كبده وأتيت بها الى هند وقلت هذه كبد حمزة فاخذتها في فمها فلاكتها فجعلها الله في فمها مثلا الداغصة وهي عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله فبعث الله ملكا فحمله ورده الى موضعه قال فجاءت اليه وقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يده ورجله ، ولم يبق مع رسول الله

إلا ابو دجانة سماك بن خرشة وعلى «ع» وكلما حملت طائفة على رسول الله استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع اليه رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله الى ناحية (احد) فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي يقاتل حتى اصابه في رأسه ووجهه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة فقال جبرئيل ان هذه هي المواساة يا محمد، فقال صلى الله عليه وآله انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما، قال ابو عبد الله «ع» نظر رسول الله الى جبرئيل بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول: ﴿ لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي ﴾ وكانت هذه الغزوة في النصف من شهر شوال سنة ثلاثة من الهجرة ومن نتائجها المؤلمة قتل حمزة وكسر رباعية رسول الله وشج وجهه وكان المشركون مثّلوا بقتلى المسلمون الذين لا يقلون عن سبعين واعظمهم مثله سيد الشهداء حمزة كما عرفت، ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

ومما انزل الله تعالى في هذه الغزوة قوله: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيء وسيجزي الله الشاكرين ﴾.

قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بان النبي صلى الله عليه وآله قد قتل يوم أحد واشيع ذلك قال الناس لو كان نبياً لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان رسول الله (ص) نهاهم عن الاخلال به وأمر عبد الله بن

جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال : لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم ، وجاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن الدفوف وينشدن الاشعار فقالت هند :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
ان تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفي اول من لقيهم بالاحابيش وعبيد أهل مكة فقاتلهم قتالا شديداً وحميت الحروب فقال رسول الله (ص) من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني ؟ فأخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما أخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يفتخر تبختراً ويقول .

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا اقيم الدهر في الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله « ص » إنما لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموضع ثم حمل النبي واصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن ابي طالب عليه السلام أصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصرته على المسلمين ، قال الزبير رأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دونهن شي فلما رأت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي (ص) واصحابه ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم

لاتتركوا أمر رسول الله (ص) وقال بعضهم مابقي من الامر شيء. ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خاليه صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبي من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر وكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فانثقله وتفرق عنه اصحابه وأقبل يريد قتله فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم أحد عن رسول الله (ص) حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمئة فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله (ص) وقال اني قتلت محمداً وصاح صائح ألا ان محمداً قد قتل ويقال ان ذلك الصائح كان ابليس (لعنه الله) فانكفى الناس وجعل رسول الله «ص» يدعو الناس ويقول إلي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ فردها رسول الله «ص» مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ادركه ابي خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يارسول الله ألا يعطف عليه احد منا فقال دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقي رسول «ص» ويقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذره اقتلك عليها فقال رسول الله بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة فاستقبله وطعنه في عنقه فخدشه فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك

بأس قال بلى لو كانت هذه بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي اقتلك فلو بزق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث إلا يوما حتى مات وفشا في الناس ان رسول الله قدقتل فولوا مدبرين بعد اختلاف كلمتهم سوى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقد كان المظهر الاتم للدفاع عن رسول الله وعن الدين حتى كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وقد مر مايزيدك وثوقاً واطمئناناً .

— ١٥ —

غزوة بئر معونة

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

قيل : نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين ، وقيل نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين ، حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان ابن شماس وعبدالله بن جحش وسائرهم من الانصار عن ابن مسعود والربيع وقتادة وقال الباقر عليه السلام وكثيرون من المفسرين انها تتناول قتلى بدر واحد معا ، وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ماروا محمد بن اسحاق بن يسار باسناده عن انس بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة

على رسول الله «ص» المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله ان يقبلها وقال يا ابا البراء لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان أقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال يا محمد ان امرك لهذا الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوتهم ان يستجيبوا لك فقال رسول الله «ص» اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله «ص» المنذر بن عمير اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيره مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس أربعة اشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم من منكم يبلغ رسالة رسول الله «ص» أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله «ص» الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله فقال حرام يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم اني اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمد رسول الله فآمنوا بالله تعالى ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا يجيبوه على ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء قد عقد لهم عقد او جواراً فاستصرخ عليهم قبائلا من بني سليم عصيته ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا

بهم في رحالهم فلما رأوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق. وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما إلا الطير يحوم حول العسكر فقالوا والله ان لهن الطير لشأناً فاقبلا لينظروا اليه فاذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن امية ماذا ترى؟ قال أرى ان نلحق برسول الله (ص) فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر ابن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله «ص» واخبره الخبر فقال رسول الله هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب رسول الله «ص» بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض ابا براء على عامر بن الطفيل:

بني ام البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بابي براء ... ليخفره وما خطأ كعمد
ألا بلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحدثان بعدي
أبوك ابو الحروب ابو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعد

وقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كل وجه ... خفارة ما اجار ابو براء

بني أم البنين أما سمعتم دعاء المستغيث مع النساء
وتنويه الصريخ بلى ولكن عرفتم انه صدق اللقاء

فلما بلغ ربيعة بن ابي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر ابن الطفيل وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابي براء ان مت فدمي لعمي ولا يتبعن سواه وان اعش فسأرى فيه رأيي .

قال : فانزل الله سبحانه وتعالى في شهداء بئر معونة قرآنا : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾

— ١٦ —

غزوة حمراء الأسد

﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقال حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾

لما انصرف ابو سفيان واصحابه من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا ، فقالوا لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم فارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله (ص) فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال إلا عصابة تسد لأمر الله تطلب عدوها فانها انكاء للعدو وأبعد للسمع فانتدب عصابة

منهم مع ما بهم والقراح والجراح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله (ص) ألا لا تخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس وإنما خرج رسول الله (ص) ليرهب العدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذين اصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره ان رسول الله (ص) قال هل من رجل يأتينا بخبر القوم فلم يجب احد فقال امير المؤمنين عليه السلام انا آتيك بخبرهم قال اذهب فان كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فانهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم يريدون مكة فمضى امير المؤمنين (ع) على ما به من الألم والجراح حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فرجع واخبر رسول الله (ص) بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله (ص) المدينة نزل جبرئيل فقال : يا محمد ان الله عزوجل يأمرك ان تخرج ولايخرج معك إلا من به جراحة فاقبلوا يكدون جراحاتهم ويداوونها فانزل الله تعالى على نبيه (ص) (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد .

وروى محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب : ان رجلا من اصحاب النبي (ص) من بني عبدالاشهل كان شهد احداً قال شهدت احد انا واخ لي فرجعنا جريحين فلما اذن مؤذن رسول الله (ص) بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا

غزوة مع رسول الله (ص) فو الله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله وكنت ايسر جرحا من اخي فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله (ص) الى حمراء الاسد فمر برسول الله معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله (ص) بتهامة صفقتهم معه لايخفون عنه شيئاً ومعبد يومئذ مشرك فقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في قومك واصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله (ص) حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة الى رسول الله وقالوا قد اصبنا حد اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم فلما رأى ابو سفيان معبداً قال ما ورائك يا معبد قال محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع عليه من كان قد تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيه من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط ، قال ويلك ما تقول قال فانا والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فو الله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فانا والله انهاك عن ذلك فو الله لقد حملني ما رأيت على ان قلت ابياتاً من شعر ، قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تهد من الاصوات راحلتي ... اذ سالت الارض بالجرد الأبابيل

تردى باسد كرام لاتنابلة ... عند اللقاء ولا خرق معازيل

فظلت عدوا اظن الارض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

وقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغمطت البطحاء بالخيل

اني نذير لأهل السبل ضاحية لكل اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلة وليس يوصف ما انيت بالقيل

قال : فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومرّ به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون ؟ فقالوا : نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم ابلكم هذه زبيباً بعكاظ غدا إذا وافيتمونا قالوا نعم فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان إلى مكة ومرّ الراكب برسول الله صلى الله عليه وآله وهو بحمراء الاسد فاخبره بقول ابي سفيان فقال رسول الله وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل وانصرف (ص) الى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن العاص وابي عزة الجمحي وهذا قول اكثر المفسرين .

وقال مجاهد وعكرمة : نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم أحد حين أراد ان ينصرف : يا محمد موعد مابيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل ان شئت فقال رسول الله (ص) ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمراً فقال له ابو سفيان اني واعدت محمداً وأصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليهما واكره أن يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة

فثبطهم وذلك عندى عشرة من الابل اضفها على يد سهيل بن عمرو فاتي نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بئس الرأي رأيكم أتوكم فى داركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فو الله لا يفلت منكم احد فكره أصحاب رسول الله الخروج وقال (ص) والذي نفسه بيده لأخرجن ولو وحدي ، فاما الجبان فانه رجع وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله (ص) فى أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها فى كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الظهران إلى مكة فسماهم أهل مكة جيش السويق ويقولون إنما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله (ص) واصحابه أحداً من المشركين ببدر ووافوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا واصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين كما عن ابي الجارود عن الباقر «ع» .

— ١٧ —

التيه

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قومي اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين * يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين * ﴾ .

قال المفسرون : لما عبر موسى و بنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا من الدخول فبعث موسى من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿ وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴾ فعاينوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئاً عجيباً فرجعوا إلى بني إسرائيل فاخبروا موسى بذلك فامرهم ان يكتموا ذلك فوافى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف و كالب بن يوفنا من سبط يهودا وعصى العشرة واخبروا بذلك ، وقيل كتم خمسة منهم واظهر الباقون وفشى الخبر في الناس فقالوا إنا ان دخلنا عليهم تكون نساؤنا واهالينا لهم غنيمة وهموا بالانصراف إلى مصر وهموا بيوشع و كالب وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى فقال رب اني لا املك إلا نفسي وأخي فاوحى الله اليه انهم يتيهون فى الارض أربعين سنة وان ما يخرج منهم من لم يعص الله تعالى فى ذلك فبقوا فى التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخ ، وقيل تسعة فراسخ ، وقيل ستة فراسخ وقيل ستة وهم ستمائة الف مقاتل لاتخرق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون و كالب ومات اكثرهم ونشأ ذراريهم فخرجوا إلى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا فى من فتحها فقيل فتحها موسى بن يوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى و كان قد توفى موسى و بعثه الله نبيا . روي انهم كانوا في المحاربة إذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا أريحا ، وقيل كانت وفاة موسى وهارون فى التيه و توفى هارون قبل موسى بسنة و كان

عمر موسى مائة وعشرين سنة في ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة عشرين سنة وبقى بعد وفاة موسى مدبراً لأمر بني إسرائيل سبعاً وعشرين سنة .

قابيل وهابيل

﴿ وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

قالوا : ان حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت أول بطن قابيل بن آدم وتوأمته اقليما بنت آدم والبطن الثانى هابيل وتوأمته لبوذا فلما ادركوا جميعاً أمر الله تعالى آدم ان ينكح قابيل أخت هابيل وهابيل أخت قابيل فرضى هابيل وابى قابيل لأن اخته كانت احسنهما وقال ماأمر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رايك فامرهما آدم ان يقربا قرباناً فرضيا بذلك ففدا هابيل وكان صاحب ماشية فاخذ من خير غنمة زبداً ولبناً وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فأتت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائباً عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد ان تأخذ اختي الحسناء وآخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله وكان سبب قبول قربان احدهما رون الآخر ان قابيل

لم يكن ذا كي القلب وقرب بشرٌ ماله واخسه وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى .

ومما حكاه تبارك وتعالى من قول هابيل لقابيل قوله ﴿ لئن بسطت الي يدك لتقتلني مانا بباسط يدي اليك لأقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ﴾ .

﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فاصبح من النادمين ﴾ .

روت العامة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال : قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصد السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه .

وعن ابن عباس قال : لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجرة وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول :

تغيرت البلاد ومن عليها ... ووجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه الصبيح

وقال سالم بن الجعد: لما قتل هابيل مكث آدم سنة حزينا لا يضحك

ثم انى فقيل له حياك الله وبياك اي اضحكك قالوا ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثاً وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شريداً فزعاً مذعوراً لا يأمن من يراه وذهب الى عدن من اليمن فأتاه ابليس فقال إنما اكلت النار قربان اخيك هابيل لأنه كان يعبدها فأنصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو أول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان وانهمكوا في شرب الخمر واللهو وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله أيام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث

زنا وزانية من بني اسرائيل

﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ الآية .

قال الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين : ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم ، زنت مع رجل من اشرافهم هما محصنان فكرهوا رجمها فارسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا اليهم أن يسألوا النبي (ص) عن ذلك طمعاً في ان يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم

فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية إذا احصنا ما حدهما فقال (ص) وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا ان يأخذوا به فقال جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي (ص) هل تعرفون شابا امردا ابيضا اعور يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي (ص) انشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي انزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا : نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان يحرقني رب التوراة ان كذبت اوغيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرني كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي (ص) فاذا كان اول ما ترخصتم به أمر الله قال: كنا إذا زنى الشريف تركناه وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع حتى نصنع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة ويسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقال

اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما ائتينا عليك باهل ولكنت غائباً فكرهنا ان تغتابك فقال انه انشدني بالتوراة ولولا ذلك لما اخبرته به فامر بهما النبي (ص) فرجما عند باب مسجده وقال انا اول من احيا أمرك إذ أماتوه فانزل الله فيه ﴿ يا اهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله (ص) ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك ان تذكر لنا الكثير الذي امرت ان تعفو عنه فاعرض النبي (ص) عن ذلك ثم سأله ابن صوريا عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي فقال صدقت واخبرني عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه امه شيء او بامه ليس فيه من شبه ابيه شيء فقال ايهما علا وسبق مائه ماء صاحبه كان الشبه له قال قد صدقت قال فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه قال فأغمي على رسول الله (ص) طويلا ثم خلى عنه محمراً وجهه يفيض عرقاً فقال العظم والدم والظفر والشحم للمرأة والعظم والعصب والعروق الرجل قال له صدقت امرك امر نبي فأسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من يأتيك من الملائكة قال جبرئيل قال صفه لي فوصفه النبي (ص) فقال اشهد انه في التوراة كما ذكرت وانك رسول الله حقاً فلما اسلم ابن صوريا وقف فيه اليهود وشتموه فلما ارادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد ودينا واحد ونبينا واحد إذا قتلوا منا قتيلا لم تعد واعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر وإذا قتلنا منهم قتيلا قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقاً من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا

به الرجل منا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبد منهم الحر منا وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله في الرجـــم والقصاص الآيات .

— ٢٠ —

التصدق بالخاتم

(وان عليا ولي الله)

﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ .

عن الأعمش قال : بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله (ص) إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس : سألتك بالله من أنت فكشف العمامة عن وجهه وقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي : انا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله بهاتين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول : ﴿ عليٌ قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله ﴾ اما اني صليت مع رسول الله (ص) يوماً من الايام صلاة الظهر فسأله سائل في المسجد فلم يعطه احد شيئاً فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله (ص) فلم يعطني احـــد شيئاً وكان علي «ع» راكعاً فأومى بخنصره اليمنى اليه ، وكان يتختم فيها فاقبل

السائل حتى اخـــذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله (ص) فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم ان أخي موسى سألك فقال : ﴿ رب إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به ازري واشركه في امري فأنزلت عليه قرآنا ناطقاً سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما ﴾ اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اشدد به ظهري قال ابوذر فو الله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عندالله تعالى يامحمد اقرأ قال وما اقرأ قال أقرأ ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ الأية ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مـدحيك المحبر ضائعاً ... وما المدح في جنب الآله بضائع
فانت الذي اعطيت اذ كنت راكعاً ... زكاة فدتك النفس ياخير راكع
فانزل فيك الله خـــير ولاية ... وثبتها مثنى كتاب الشرائع

وفود النبي للحبشة

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون ﴾ .

نزلت في النجاشي وأصحابه قال المفسرون : أئتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن عصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله ماباصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يُظلم عنده احـــد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا وأراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشة عطية وإنما النجاشي إسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها سراً أحد عشر رجـــلا واربع نسوة ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهت عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي والى بطارقته ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شابا حسن الوجه واخرج عمرو ابن العاص اهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلني فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة وأخرج من الماء والقى الله بينهما العداوة في مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي ثم وردا عليه فقـال عمرو بن العاص أيها الملك ان قوماً خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا اليك فردهم الينا فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه فقال يا ايها الملك سلهم أنحن عبيد لهم فقال لا بل احرار قال فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا ما لنا عليكم ديون قال فلكم علينا دماء في اعناقنا تطالبونا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا

آذيتمونا فخرجنا من دياركم ثم قال أيها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الانداد وترك الاستقسام بالازلام وامرنا بالصلاة والزكاة والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئاً قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله ﴿ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا﴾ قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف لنا فرده اليناً فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله ان ذكرته بعد بسوء لأفعلن بك وقال ارجعوا إلى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه امكثوا فانكم سيوم «والسيوم الآمنون» وامر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله (ص) وعلا أمره وهادن قريشاً وفتح خيبر فوافى جعفر إلى رسول الله بجميع من كان معه فقال رسول الله « ص » لا ادري انا بفتح خيبر اسر أم بقدوم جعفر .

— ٢٢ —

المؤتمر المقصود به الخير

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ● وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ﴾ .

قال المفسرون : جلس رسول الله «ص» يوماً فذكر النار ووصف

القيامة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وفي طليعتهم أمير المؤمنين وسلمان وابو ذر والمقداد وابن مسعود الى غيرهم واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والشحم ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض وهم بعضهم ان يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله « ص » فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت ابي أمية واسمها خولاء وكانت عطارة احق مابلغني عن زوجتك واصحابه فكرهت ان تكذب رسول الله وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان عثمان اخبرك فقد صدقت فانصرف رسول الله «ص» فدخل عثمان فاخبرته بذلك فأتى رسول الله هو واصحابه فقال رسول الله « ص » ألم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يارسول الله وما اردنا إلا الخير فقال رسول الله اني لم اؤمر بذلك ثم قال ان لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا ، أما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهباناً فانه ليس في ديني ترك الدنيا والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد أعبدو الله ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم تشدد الله عليهم

فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله تعالى الآية .

المـــائدة

﴿ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فأني اعذبه عذابا لا اعذبه احداً من العالمين * ﴾ .

عن سلمان الفارسي (رض) قال : نزلت المائدة سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثله وعقوبة واليهود ينظرون اليها ، ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ، ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال : بسم الله خير الرازقين فاذا هي سمكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ومن طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله فقال الحواريون

ياروح الله لو اريتنا اليوم من هـــذه الآية آية اخرى فقال عيسى ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى مالكم تسألون اشياء إذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم ان تعذبوا ياسمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا ياروح الله كن اول من يأكل منها ثم نأكل نحن قال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منهـا فدعالها عيسى أهل الزمانة والمزمنين والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً ولـكم المهنا ولغيركم البلاء فاكل منها الف وثلثمائة رجل وامرأه من فقير ومريض ومبتلا وكلهم شبعان يتجشى ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتهـا حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ولا مريض إلا ابرى ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت اذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين صباح تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون في ظلها وكانت تنزل غبا يوما ويوما .

وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام : كانت المائده تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترتفع فقال كبراؤهم وهم مترفوهم لاندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير .

مولد ابراهيم والآيات

﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هـذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت قال ياقوم اني برىء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ .

ذكر أهل التفسير والتاريخ : ان إبراهيم ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس ، وبعضهم قال كان ملكا براسه ، وقيل لنمرود انه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ، ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن ، وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الأنبياء وقال آخرون رأى نمرود كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فعبر بانه يولد غلام يذهب ملكه على يده فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنة وأمر بان يعزل الرجال عن النساء وبان يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فان كان غلاماً قتل وان كانت جارية خليت حتى حبلت ام ابراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة فذهبت به الى غار ولفته في ما يصلحه ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في ابهامه فجعل يمصها فتشخب لبناً وجعل يشب في اليوم كما يشب

غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله ان يمكث وكانت تختلف اليه أمه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا ومن اصبع تمراً وكان يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة وانه لما قوى واشتد وجاءت اليه امه كعادتها وأرادت الذهاب تعلق بها وقال لها يا ام مالك تتركيني ها هنا اذهب معك فقالت يا بني ان الملك إذا علم انك ولدت في هذا الزمان قتلك فلم يصده ذلك عن ذهابه معها فجاءت به وادخلته دارها وجعلته بين اولادها فنظر اليه آزر فقال من هذا؟ قالت له هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا فقال ويحك ان علم به الملك نزلت منزلتنا وقتله وكان آزر صاحب النمرود وكان يتخذ له الاصنام والناس يدفعها الى ولده ويبيعونها منهم فقالت ام ابراهيم لا عليك ان لم يشعر الملأ به بقي لنا وان شعر به كفيتك الاحتجاج عنه وكان آزر كلما نظر الى ابراهيم احبه حباً شديداً وكان يدفع اليه الاصنام ليبيعها كما يبيع اخوته فكان يعلق في اعناقها الخيوط ويجرها على الارض ويقول من يشتري ما لا يضره وما لا ينفعه ويغرقها في الماء ويقول تكلمي فلما بلغ اشده وخرج القوم الى عيد لهم كسر اصنامهم فجاءهم فكان الفلج له عليهم فلم يجدوا انتصاراً عليه إلا ان يحرقوه بالنار فمكثوا مدة يجمعون الحطب فاضرموا فيه النار فالقوه فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً كما قال تعالى.

نوح وقومه

﴿ لقد ارسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومي اعبدوا الله مالكم من إله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين * قال يا قومي ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ﴾

هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ يعني ادريس ولد في العام الذي مات فيه آدم لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول يابني ان بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون الى نوح فيضربونه حتى تسيل مسامعه دما وحتى لا يعقل شيئاً مما يُصنع به فيحمل فيرمى به في بيت او على باب داره مغشياً عليه فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فعندها اقبل الى الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال : رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاعقم الله اصلاب الرجال وارحام النساء ولبثوا أربعين سنة لا يولد لهم ولداً وقحطوا فى تلك الاربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم انه كان غفاراً فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفراً فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا يغوث آلهتهم حتى اغرقهم الله وعاش نوح الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين

قبل أن يبعث والف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء ومصر الامصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح وقال ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئتك لأقبض روحك فقال له تدعني انحول من الشمس الى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال له يا ملك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه (ع).

هود وقومه

﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين * قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * ﴾.

ذكر السدي وابن اسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود ان عاداً كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشجر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهنا ويبرين مابين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجسام عظيمة وكانوا اصحاب أصنام يعبدونها فبعث الله تعالى اليهم هوداً نبياً وكان من اوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فدعاهم الى التوحيد وخلع الانداد فابوا عليه وكذبوه وآذوه فامسك

الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا ، وكان الناس فى ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء او جهد التجأوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم و كافرهم وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام ابن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فبعث عاد وفدا إلى مكة ليستقوا لهم فنزلوا على معاوية ابن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم واقاموا عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفى استحي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكى ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله ، فقال معاوية بن بكر :

ألا ياقيل ويحك قم فهيمن ... لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عاداً ... قد أمسوا مايبينون الكلاما
وان الوحش تأتيهم جهاراً ... ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا الحرم واستسقوا لهم فقال لهم رجل منهم قد آمن بهود سراً والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنز رأس وفد

عاد فقال يا إلهنا ان كان هود صادقاً فاسقنا قد هلكنا فانشأ الله سبحانه سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء : يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عزوجل بدهو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً اي دائمة فلم تدع من عاد احداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة فاهلكتهم .

وروى ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله تعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لاذرت ما بين السماء والارض ما ارسل على قوم عاد الا قدر الخاتم .

— ٢٧ —

صالح وقومه والناقة

﴿ وإلى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم إعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جائتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ﴾ .

وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ : ان عاداً لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض

وكثروا وعمروا وكانوا فى سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا فى الارض وعبدوا غير الله تعالى فبعث الله اليهم صالحاً وكانوا قوماً عربا فلبث فيهم يدعوهم الى الله ما شاء الله من السنين وهم لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين : ان شئتم فسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألون ، وان شئتم سألت آلهتكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد شئتكم وشئتموني قالوا قد انصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم واكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه وقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه فقال لا ارى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم الساعة فقالوا ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك وآمنا بك ، فرفع صالح يده وسأل الله سبحانه ذلك ، فانصدعت الصخرة صدعاً كادت عقولهم تطير منه ، ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع رأسها فتفجج لهم فيحتلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانيهم فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمتها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها

صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت أشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وامرأة أخرى يقال لها عنيزه دعت قدار بن سالف وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه فانطلق قدار ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة فرصدوها حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظمت به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرة ابنتها وكانت من احسن الناس صورة فاسفرت لقدار ثم زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فجزت ورغت رغاة واحدة وتحذر سقبها ثم طعن في لبتها ونحرها وخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل مافعل بامه ولى هارباً حتى صعد جبلا ثم رغا رغاه تقطعت منه قلوب القوم وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون اليه إنما عقرها فلان ولاذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم بعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة ايام فان العذاب نازل بكم ثم قال ياقوم انكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جائكم ما قال لكم صالح لما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرئيل

فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولاراغية ولاشيئاً يتنفس إلا اهلكه فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم اجمعين .

وروي الثعلبي باسناده مرفوعاً عن النبي (ص) قال ياعلي : أتدري من اشقى الاولين ؟ قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك .

لوط وقومه

﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ﴾ .

وجملة امرهم فيما روي عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام ان لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة الى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وانما فعلوا ذلك لتنكل النازلة عليهم من

غير شهوة بهم الى ذلك فاوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف اذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفاً جاء ينزل بك فانك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط اذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله عليهم جبرئيل في نفر من الملائكة فأقبلوا الى ابراهيم قبل لوط فلما رآهم ابراهيم ذبح عجلا سميناً فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم انا رُسل ربك ونحن لا نأكل الطعام انا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع قال من انتم؟ قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا الليلة فقال لوط ان أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم ويأخذون اموالهم، قالوا قد ابطانا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت امرأته كافرة فقال قد اتاني اضياف هذه الليلة فاكتمي امرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح واذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت ناراً فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون اليه اي يسرعون ودار بينهم ماقصه الله تعالى في مواضع من كتابه، فضرب جبرئيل بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا انهم قد اتاهم العذاب فقال جبرئيل يالوط اخرج من بينهم انت واهلك الا امرأتك فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال :

اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم أحد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ دوابهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عزوجل ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك بعدان امطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امرأته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وامطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها .

وقال الكلبي : أول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم كثيرة الخيرات فانتجعها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعاهم الى دبره فنكح في دبره ثم عتوا بذلك العمل فلما كثر فيهم عجت الأرض الى ربها فسمعت السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السماء ان تحصبهم وامر الأرض ان تخسف بهم .

الآيات المفصلات

﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ .

قال المفسرون : لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا وأبى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى

فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماءً ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واقام الماء على وجه اراضيهم لا يقدرون على أن يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلاء والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتأكل الأبواب والثياب والأمتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع فرعون من ذلك جزعا شديداً وقال يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم الجراد بعد ان اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة القمل وهو الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر مايكون واخبثه فاتى على زروعهم كلها واجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل أمر موسى ان يمشي الى كثيب اعقر بقرب قرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فاتاه فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب

احدهم فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملا . قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحا فلم يرد منها ثلاثة افقزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بني اسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعدما أقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا فانزل الله عليهم في السنة الرابعة الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلأت منها بيوتهم وأبنيتهم فلا يكشف احد ثوباً ولا اناءً ولا طعاماً ولا شراباً الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع اكلته الى فيه فلقوا منها اذىً شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى «ع» وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله لنا ان يذهب عنا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فاخذ عهودهم ومواثقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعاً من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة ارسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دماً والاسرائيلي يراه ماءً فاذا شربه الاسرائيلي كان ماءً واذا شربه القبطي كان دماً وكان القبطي يقول للاسرائيلي : خذ الماء في فيك وصبه في فيّ فكان إذا صبه في فم القبطي تحول دماً وان فرعون اعتراه

العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم فاتوا موسى وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل . (فلما كشفنا عنهم الرجس الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) وقد تقدم ذلك فراجع .

المسخ

(فلما نسوا ماذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) .

قيل : كانت هذه القصة في زمن داود «ع» وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي امرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم اتاهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة ثم يأخذونها يوم الأحد وكانوا نحوا من اثني عشر الفا فصار الناس ثلاث فرق : فرقة

عاصية ، وفرقة ناهية ، وفرقة ساكتة ، فروي عن ابن عباس هلاك الاولى ونجاة الأخيرتين ونجاة الثانية وهلاك الأولى والثالثة ، وروي عنه التوقف أيضاً ورثي بين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا .

ولما لم يفد النهي والوعظ والتذكير اعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم فاصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية أحد فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الأبواب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فاذا قالوا لهم ألم ننهكم قالت برؤسها نعم فصارت الشبان قردة والشيوخ خنازير بعد ان كانوا رجالا ونساء .

وينبغي ان لا ينسى ان قتل المؤمن اعظم والله من اكل الحيتان .

بلعم بن باعورا

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .

لما خرج موسى من التيه ساروا الى مدينة الجبارين وهي اريحا ليفتحها وعلى مقدمته يوشع بن نون فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعورا

فقالوا ان موسى جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف الاسم الأعظم فقال لهم كيف ادعوا على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فأتوا امرأته واهدوا لها هدية وطلبوا اليها ان تحسن لزوجها ان يدعوا على بني اسرائيل فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير ربي فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فاخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاد الاستخارة فلم يُرد جواب فقالت لو اراد ربك لنهاك ، ولم يزل تخدعه حتى اجابهم فركب حماراً له متوجهاً الى جبل يشرف على بني اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما مشى عليها الا قليلا حتى ربض الحمار فضربه حتى قام فسار قليلا فربض ففعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة انطقه الله تعالى ويحك يا بلعم اين تذهب الا ترى الملائكة تردني فلم يرجع واطلق الله الحمار حينئذ فسار به حتى صعد الجبل واشرف على بني اسرائيل فكان كلما اراد ان يدعو عليهم انصرف لسانه الى الدعاء لهم واذا اراد ان يدعوا لقومه انصرف لسانه بالدعاء عليهم فقالوا له في ذلك فقال هذا شيء غلب الله عليه واندلع لسانه ووقع على صدره فكان يلهث كما يلهث الكلب كما وصفه الله سبحانه وتعالى عبرة لأولي الالباب .

ولما رأى نفسه بتلك الحالة الشنيعة ايقن بالخسران المبين فقال الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فأمرهم ان يزينوا النساء ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى المعسكر وان لا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها وقال ان زنا منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك

ودخل النساء عسكر بني اسرائيل فاخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة قد اعجبته واتى بها الى موسى فقال له اظنك تقول ان هذه علي حرام فقال له اجل انها حرام عليك قال له والله لا نطيعك ثم ادخلها خيمته فوقع عليها فانزل الله عليهم الطاعون وكان صحصاص بن عيراد ابن هارون صاحب امر عمه موسى غائباً فلما جاء رأى الطاعون قد فشى في بني اسرائيل وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه مضاجعاً المرأة فطعنها بحربة في يده فانتظمها ورفعها حتى رآها الناس وقال من فعل مثل هذا الفعل فعلنا به مثل هذا فرفع الطاعون بعد ان هلك من بني اسرائيل عشرون الفاً في ساعة واحدة .

ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحا في بني اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس للغروب فخشي ان يدركهم الليل فيحجزهم فدعا الله تعالى ان يرد الشمس فاجابه تعالى ورد الشمس عليه وحبسها حتى استأصلهم .

وفي امة محمد صلى الله عليه وآله من يضاهي يوشع ممن ردت له الشمس وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد رد الله عليه الشمس مرتين كما لا يخفى على من تتبع التأريخ والسير وفي المدينة مسجد يقع شرقي قبا يعرف بمسجد الشمس حتى اليوم لوقوع احد الفضيلتين فيه .

بدر الكبرى

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ الآيات .

قال أصحاب السير : أقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها اموالهم وهي اللطيمة وفيها اربعون راكباً من قريش فندب النبي صلى الله عليه وآله اصحابه للخروج اليها ليأخذوها وقال : لعل الله ان ينفلكوها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله (ص) يلقى كيدا ولا حرباً فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب لا يرونها إلا غنيمة فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي (ص) أستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره ان يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم ان محمداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلا أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجمله على ابي قبيس فاخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا اصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك واخبرت العباس بذلك فاخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك اباجهل فقال هذه نبية ثانية في بني عبدالمطلب واللات والعزى لننظرن ثلاثة ايام فان كانت ما رأت حقاً وإلا لنكتبن

كتاباً بيننا انه مامن أهل بيت من العرب اكذب رجالا ونساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث اتاهم ضمضم يناديهم يا آل غالب يا آل غالب الطيمة الطيمة العير العير ادركوا وما أراكم تدركون ان محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي احد من عظماء قريش إلا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبدالمطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل ابن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فاخبره بهم ونزل جبرئيل على رسول الله (ص) فاخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابوبكر فقال يارسول الله انها قريش وخيلائها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب فقال له النبي (ص) اجلس فجلس فقام عمرو بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال له النبي (ص) اجلس فجلس فقام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به حق والله لو أمرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ ولكنا نقول امض لأمر ربك فانا معك مقاتلون فجزاه رسول الله خيرا على قوله ذاك ثم قال اشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الانصار لأن اكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا إنا برآء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك

مما نمنع ابنائنا ونسائنا فكان يتخوف ان يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدو وان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ وقال بابي أنت وامي يا رسول الله كانك اردتنا فقال نعم فقال بابي أنت وامي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله تعالى فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت والله لو أمرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله وقال سيروا على بركة الله فان الله عزوجل قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأني انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وأمر رسول الله (ص) بالرحيل وخرج إلى بدر واقبلت قريش وبعثت عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم اصحاب رسول الله (ص) وقالوا لهم من انتم ؟ قالوا نحن عبيد قريش قالوا فاين العير ؟ قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله يصلي فلما انفتل من صلاته قال ان صدقوكم فاضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا : تسعة الى عشرة فقال (ص) القوم تسعمائة الى الف رجل وأمر بهم فحبسوا فبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة اباالبختري بن هشام فقال أما ترى هـــذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلتت فجئنا بغيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط ولوددت أن مافي العير

من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختري أنت سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد واصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فانه حليفك فقال له عليّ ذلك وما على أحد منا خلاف إلا ابن الحنظلية يعني ابا جهل فصر اليه واعلمه انى حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال فقصدت خبائه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب لمحمد فانه من بني عبد مناف وابنه معه يريدان يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب او نأخذهم اسارى وندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله (ص) وكان ابو سفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فاراد عتبة ان يرجع فابى ابوجهل وبنومخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفزع اصحاب رسول الله لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا الى الله سبحانه ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ الآية .

— ٣٣ —

بدر الكبرى أيضاً

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم ﴾ .

— ٧٦ —

ذكروا ان النبي (ص) لما نظر يوم بدر الى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال : اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فأنزل الله عليه قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ الآية ولما امسى وجنه الليل القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً حتى لبد الارض وثبت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي والقى الله في قلوبهم الرعب ولما اصبح رسول الله (ص) عبأ اصحابه فكان في عسكره فرسان للزبير والمقداد وسبعون جملا كانوا يتعاقبون عليها وكان في عسكر قريش اربعمائة فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله (ص) قال ابو جهل ما هم إلا اكلة رأس لو بعثنا اليهم عبيدنا لأخذوهم اخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة اترى لهم كميناً او مدداً فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعا فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رجع فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرساً لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ إلا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا تقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم فقال له ابو جهل كذبت وجبنت .

وان الله تبارك وتعالى انزل على نبيه قوله ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ فبعث اليهم رسول الله (ص) فقال يا معشر قريش انى اكره ان ابده بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة مارد هذا قوم قط فافلحوا

ثم ركب جملا له احمر فنظر اليه رسول الله (ص) وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال (ص) ان يكن عند احد خير فعند صاحب الجمل الأحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمداً له إل وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقاً فانتم اعلى به عيناً وان يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب امره فغاظ ابا جهل قوله وقال له جبنت وانتفخ سحرك فقال له : يامصفر استه مثلي يجبن وستعلم قريش اينا الأم وأجبن واينا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو واخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا اكفائنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار وانتسبوا لهم فقال لهم ارجعوا انما نريد الاكفاء من قريش فنظر رسول الله «ص» الى عبيدة ابن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة وقال قم ياعم ثم نظر الى علي بن ابي طالب فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جائت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفىء نور الله ويأبى الله إلا ان يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي «ع» عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعاً وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما وحمل امير المؤمنين علي على الوليد فضربه علي حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطه قال علي لقد اخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت السماء وقعت علي

الارض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي أما ترى الكلب قد ابهر عمك فحمل عليه علي وقال ياعم طأطأ رأسك وكان حمزة اطول من شيبة فادخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة وبه رمق فأجهز عليه ثم جاء مع عمه حمزة واحتملا عبيدة وبه رمق وجاءا به الى رسول الله (ص) فلما رآه استعبر (ص) فقال عبيدة يا رسول الله الست شهيداً قال بلى انت اول شهيد من أهل بيتي وصرخ ابو جهل بالناس يحرضهم على القتال ويقول لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعة عليكم باهل يثرب فأجزروهم جزراً وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء ابليس في صورة سراقة بن مالك ابن جشعم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الي رايتكم فدفعوا اليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله فقال غضوا أبصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده داعياً بما تقدم ثم اصابه الغشى ثم سرى عنه وهو يسلت العرق عن وجهه فقال هذا جبرئيل قد أتاكم في الف من الملائكة مردفين فكان الرجل من اصحاب رسول الله «ص» حين التقى الفريقان يشير الى رأس المشرك بالسيف فيقع رأسه قبل ان يصل اليه وان ابليس لما رأى جبرئيل مع الملائكه رمى الراية من يده وفر مهرولا فتعلق به ابوجهل قائلا مالك ياسراقة تفت في اعضاد الناس فقال له دعني اني ارى مالاترون فكان النصر طبعاً لرسول الله «ص» فقتل من المشركين سبعين واسر سبعين وكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى

بين علي والعباس وطلحة

﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين * ﴾ .

قيل : انها نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي عليه السلام : ما أدري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد .

وعن ابن بريدة عن ابيه قال . بينما شيبة والعباس يتفاخران إذ مر بهما علي بن ابي طالب «ع» فقال بماذا تتفاخران ؟ فقال العباس : لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقاية الحاج ، وقال شيبة أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي «ع» استحييت لكما أوتيت على صغر سني ما لم تؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله وبرسوله فقام العباس مغضباً يجر ذيله حتى دخل على رسول الله (ص) وقال أما ترى الى ما استقبلني به علي ، فقال ادعوا لي علياً فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرضى ، فنزل جبرئيل فقال يا محمد ان ربك يقرء

عليك السلام ويقول اتل عليهم (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآيات فقال العباس انا قد رضينا رضينا رضينا .

وفي تفسير أبي حمزة : ان العباس لما اسر يوم بدر أقبل عليه اناس من المهاجرين والأنصار فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال مالكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله انا لنعمر المساجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ﴿ ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ﴾ الآية .

أبا الحسن : —

سارت بانوار علاك السير وحدثت عن جلالك السور
والواصفون المحدثون غلوا وبالغوا في علاك واعتذروا

حنينه

﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾

ذكر أهل التفسير واصحاب السير : ان رسول الله (ص) لما فتح مكة خرج منها متوجهاً الى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان أوفى شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك ابن عوف النصري وساقوا معهم اموالهم ونسائهم وذراريهم ونزلوا باوطاس قال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جشم وكان شيخاً

كبيراً قد ذهب بصره من الكبر فقال باي واد أنتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم واموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن اهله وماله فقال دريد راعي ضان ورب الكعبة ثم قال اثتوني بمالك فلما جاءه قال : يا مالك انك اصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده رد قومك الى عليا بلادهم والق الرجال على متون الخيل فانه لا ينفعك إلا رجل بسيفه وفرسه فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك لا تكون فضحت في اهلك وعيالك فقال له مالك انك قد كبرت وذهب علمك وعقلك وعقد رسول الله صلى الله عليه وآله لوائه الأكبر ودفعه الى علي بن أبي طالب عليه السلام وكل من دخل مكة برأيه امره ان يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوماً وبعث الى صفوان بن امية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية ام غصب فقال «ص» عارية مضمونة مؤداة فاعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان صلى الله عليه وآله دخل مكة في عشرة آلاف وخرج منها في اثنى عشر الفاً الى هوازن وبعث «ص» رجلا من اصحابه اليهم فانتهى الى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل رجل منكم اهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فاذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فان محمداً لم يلق احداً يحسن الحرب ولما صلى رسول الله «ص» باصحابه الغداة انحدر في وادي

حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم من ورائهم وخلى الله تعالى بينهم وبين عدوهم لاعجابهم بكثرتهم وبقى علي «ع» ومعه الراية بقاتلهم في نفر قليل ومر المنهزمون برسول الله (ص) لايلوون على شيء وكان العباس بن عبدالمطلب آخذ بلجام بغلة رسول الله «ص» والفضل عن يمينه وابو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم ايمن بن ام ايمن وقتل يومئذ ، وفى ذلك يقول العباس بن عبد المطلب :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه واقشعوا
وقولي اذا ما الفضل كر بسيفه ... على القوم اخرى يابني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما ناله فى الله لا يتوجع

ولما رأى رسول الله «ص» هزيمة القوم عنه قال العباس وكان جهوريا صيتا اصعد هذا الظرب «١» فناد : يا معشر المهاجرين والانصار يا أصحاب سورة البقرة ياأهل بيعة الشجرة الى اين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ـ الآن حمي الوطيس ـ : ـ

انا النبي لاكذب ... انا ابن عبد المطلب

ونزل النصر من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة ومروا فى كل وجه ولم يزل المسلمون فى آثارهم ومر مالك بن عوف ودخل حصن

(١) الظرب : التل الصغير .

الطائف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغنم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وامر رسول الله (ص) بالقراري والأموال ان تحدر الى الجعرانة وولى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى (ص) في اثر القوم فوافى الطائف في طلب مالك بن عوف فحاصر اهل الطائف بقية الشهر فلما دخل ذوالقعدة انصرف وانى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من القراري والنساء ومن الابل والشاة مالا يدري عدته ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله (ص) بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يارسول الله إنما في الحضائر خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو انا ملكنا ابن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم اصابنا منهما مثل الذي اصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وانت خير الكفولين ثم أنشد أبياتاً .

فقال النبي (ص) أي الأمرين أحب اليكم السبي او الأموال ؟ فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحسب والأموال والحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال رسول الله (ص) اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله «ص» الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي قد رددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن احب منكم ان يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي فليأخذ الفدا وعليّ فداؤهم فرد الناس ما كان بايديهم منهم إلا قليلا من الناس سألوا الفداء وارسل رسول الله الى مالك ابن عوف وقال ان جئتني مسلماً رددت اليك اهلك ومالك ولك عندي

مائة ناقة فرجع اليه من الطائف فردعليه اهله وماله واعطاه مائة من الابل واستعمله على من اسلم من قومه .

— ٣٦ —

من البخل

(ومنهم من يقول أأذن لي ولا تفتني إلا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) .

قيل : ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الاصفر فقام جد بن قيس اخو بني سلمة من بني الخزرج فقال يارسول الله ائذن لي ولا تفتني ببنات الاصفر فاني اخاف ان افتتن بهن فقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لي) الآية فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال (ص) واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الأبيض الجعد بشر بن البراء ابن المعرور فقال حسان ابن ثابت :

وقال رسول الله والقول لاحق ... بمن قال منا من تعدون سيدا
فقلنا له جد بن قيس على الذي ... نبخله فينا وان كان انكدا
فقال وأي الداء ادوى من الذي ... رميتم جدا وان كان أمجدا
وسوّد بشر بن البراء لجوده ... وحق لبشر ذي الندى ان يسودا
اذا ما أتاه الوفد انهب ماله ... وقال خذوه انه عائد غدا

يونس

(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ●) .

وكان من قصة يونس على ماذكره سعيد بن جبير والسدي ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الاسلام فابوا فاخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان فى جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا غشيهم العذاب فاغامت السماء غيما هائلا اسودا يدخن دخاناً شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت سطوحهم .

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام كان فيهم رجل اسمه مليخا عابد وآخر اسمه روبيل عالم وكان العابد يسير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فاوحى الله تعالى أنه يأتيهم العذاب فى شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقى العالم فيهم فلما كان اليوم الذى نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا الى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا الى المفازة

وفرقوا بين النساء واطفالها وبين سائر الحيوانات واولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها باصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعائهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم .

ومر يونس على وجهه مغاضباً كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت وارادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة فتساهموا فوقع من بينهم السهم على يونس فاخرجوه فالقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء فاوحى الله الى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه فاني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاماً فلبث في بطنه ثلاثة أيام وقيل سبعة ايام وقيل أربعين يوماً .

قال عبد الله بن مسعود وابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به الى قرار الأرض وهناك مر بقارون اذ سمعه يسبح فسأله عن آل عمران فأخبره بموتهم فتأوه عليهم فرفع الله عنه عذاب الدنيا لرقته على رحمه ومكث يونس في بطن الحوت يطوف به فنادى في الظلمات ان لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب له ربه فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكل الله به وعلا يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله تعالى تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مأة الف او يزيدون اردت أن اهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال له من انت؟ قال من قوم

يونس فقال له أذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فأخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وآمنوا به .

— ٣٨ —

سفينة نوح

﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * ﴾ .

عن النبي «ص» انه قال مكث نوح في قومه الف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينة وقومه يمرون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري ؟ فيقول سوف تعلمون فجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا على ثلاث طبقات اسفلها للوحش والسباع والهوام واوسطها للدواب والأنعام وركب هو ومن معه في الأعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وامره الله تعالى أن يجعل فيها من كل زوجين اثنين .

امرأة خائنة

﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾

روي في بعض التفاسير عن جعفر الصادق «ع» انه قال : كان في زمن بني إسرائيل رجل وكان له مع الله معاملة حسنة وكان له زوجة وكان ظنيناً بها وكانت من اجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن وكان يقفل عليها الباب فنظرت يوماً شاباً فهوته وهواها فعمل له مفتاحاً على باب دارها وكان يدخل ليلا ونهاراً متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك فبقيا على ذلك زماناً طويلا فاحس ذات يوم بشيء فقال لها وكان اعبد بني اسرائيل وازهدهم انك قد تغيرت علي ولم اعلم ما سببه وقد توسوس قلبي وقد كان اخذها بكراً ثم قال لها واشتهي منك تحلفي لي انك لم تعرفي رجلا غيري وكان لبني اسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده وكان الجبل خارج المدينة وكان عنده نهر يجري وكان لا يحلف عنده احد كاذباً إلا هلك فقالت له ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل قال نعم قالت متى شئت فعلت فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فاخبرته بما جرى لها مع زوجها وانها تريد ان تحلف له عند الجبل وقالت مايمكنني ان احلف كاذبة ولا اقول لزوجي ما احلف فبهت الشاب وتحير وقال لها فما تصنعين فقالت له بكر غداً والبس ثوب مكاري وخذ حماراً واجلس على باب المدينة

فاذا خرجنا فانا آمره ان يكتري منك الحمار فاذا اكتراه منك بادر واحملني وأرفعني فوق الحمار حتى احلف له وانا صادقة انه ما مسني احد غيرك وغير هذا المكاري فقال حباً وكرامة فلما جاء زوجها قال لها قومي بنا إلى الجبل لتحلفي به فقالت مالي طاقة بالمشي فقال لها اخرجي فان وجدت مكاريا اكتريت لك فقامت ولم تلبس لباسها فلما خرج العابد وزوجته رأت الشاب ينتظرها فصاحت به يامكاري اتكري حمارك الى الجبل بنصف درهم قال نعم ثم تقدم ورفعها على الحمار فساروا حتى وصلوا إلى الجبل فقالت للشاب انزلني عن الحمار حتى اصعد على الجبل فلما تقدم الشاب اليها القت بنفسها على الارض فأنكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال والله مالي ذنب ثم مدت يدها الى الجبل فامسكته وحلفت له انه لم يمسها احد ولا نظر انسان مثل نظرك الي منذ عرفتك غيرك وغير هذا المكاري فاضطرب الجبل اضطراباً شديداً وزال عن مكانه ، وانكرت بنو إسرائيل ذلك فذلك قوله تعالى : ﴿ وان كان مكرهن لتزول منه الجبال ﴾ .

— ٤٠ —

يوسف

﴿ إذ قال يوسف لأبيه ياأبت اني رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين * ﴾ إلى آخر السورة .

وكان من قصته مع اخوته : هو انه رأى في منامه ذات ليلة كأن

الشمس والقمر واحد عشر كوكبا قد سجدوا له فلما اصبح قص رؤياه على ابيه فنهاه ابوه عن اذاعتها مخافة عليه من اخوانه ان يكيدوا له كيدا يكون به هلاكه لما يعرفه من حسدهم له لمحبته اياه ومودته له فلما اتصل بهم حديث الرؤيا اشتد بهم الحسد حتى حملهم على الايقاع به فجعلوا يتوامرون في كيفية ذلك فكان ما تواسروا به واتفقوا عليه ما حكاه الله تعالى عنهم ﴿ إذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة أن ابانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا يخلو لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * ﴾ فاتفقوا على قتله او ابعاده عن ابيه في ارض تأكله فيها السباع غير ان احدهم رأى ان يلقي في غيابة الجب فتأخذه بعض السيارة من المسافرين فيذهبوا به الى بعض النواحي البعيدة فلا يتصل لأبيه كما قال الله تعالى : ﴿ قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ﴾ فلما اتفقوا جميعا على هذا الرأي الأخير تقدموا إلى أبيهم و ﴿ قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون * ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾ فأجاب أن لا مانع هناك إلا اني أخاف عليه الذئب حينما تكونون مشغولين باعمالكم فتذهبوا إلى ان الذئب يأكل ابن آدم ولم يكونوا عارفين بذلك فكانه لقنهم الحجة حيث قال ﴿ اني ليحزنني ان تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ﴾ فأجابوا بنشاط وقوة ﴿ لئن اكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا لخاسرون ﴾ فلما كان الغد ارسله معهم ابتغاء الالفة والمحبة بعد ان ودعه باكيا فاخرجوه بالحفاوة والاكرام فلما وصلوا إلى الصحراء اظهروا له العداوة

وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بكل واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا أبتاه وجاؤا به الى البئر ونزعوا قميصه قهراً وهو يقول ردوا علي قميصي اتوارى به فيقولون ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤنسنك فدلوه في البئر عرياناً حتى اذا بلغ نصفها القوه حتى يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه فأمر الله صخرة فارتفعت من اسفل البئر حتى قام عليها يوسف فأضاء البئر وصفا ماؤه وعذب حتى اغناه عن الطعام والشراب وهبط عليه جبرئيل يؤنسه والبسه قميص جده ابراهيم الخليل حيث كان ابوه يعقوب جعله عليه في تعويذ في عنقه فحمله جبرئيل والبسه اياه .

وعن الصادق عليه السلام قال لما القى اخوة يوسف يوسفاً في الجب نزل عليه جبرئيل فقال له يا غلام من طرحك هنا قال اخوتي لمنزلتي من ابي حسدوني وذلك في الجب طرحوني فقال أتحب ان تخرج من هذا الجب قال ذاك الى إله ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال له جبرئيل فان إله ابراهيم واسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا إله إلا انت بديع السماوات والارض ياذا الجلال والاكرام ان تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب ، فجعل الله له من الجب يومئذ مخرجا ومن كيد المرأة مخرجا وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب .

فلنترك يوسفاً في الجب ونعود مع أخوته لنسمع ما يعتذرون به الى ابيهم فانهم لما القوه الجب وأيقنوا بهلاكه تقريباً بعد ان لطخوا قميصه بدم شاة ذبحوها رجعوا الى ابيهم ليلا كما قال الله تعالى : ﴿ وجاؤا أباهم

عشاء يبكون ﴾ فلما سمع بكائهم قال ما بالكم ﴿ قالوا انا ذهبا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وماانت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ وهذا قميصه ملطخ بدمه كما قال تعالى ﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب﴾ فقال يعقوب أروني قميصه فاروه إياه فلما رأى القميص صحيحاً قال يابني والله مارأيت كاليوم ذئباً احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه ﴿ بل سولت لكم انفسكم امراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾

فلندع يعقوب في حزنه ونرجع إلى سجين الجب يوسف فانه لما دعا بما تقدم اتاح الله له سيارة قافلة فنزلت قريباً من جبه ﴿ فارسلوا واردهم ﴾ في طلب الماء وهو رجل اسمه مالك بن زعر ﴿فادلى دلوه﴾ فتعلق به يوسف فلما خرج ورآه المدلي واذا هوغلام من احسن ماطلعت الشمس عليه واخفوا امره ليربحوا ثمنه كله ﴿واسروه بضاعة﴾ غير ان اخوته غلبوا عليه مدعين عبوديته لهم فباعوه من مالك ﴿ بثمن بخس دراهم معدودة ﴾ لا تزيد عن عشرين درهما فحمله مالك الى مصر فعرضه للبيع فتزايدوا فيه حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريراً فاشتراه عزيز مصر بهذا الثمن وجاء به الى منزله وقال ﴿ لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ﴾ حيث كان عقيما لا يأتي النساء ولا يولد له ، فكان يوسف في بيت العزيز كالولد البار الآمر الناهي ليس دونه شيء حتى بلغ اشده ومنتهى شبابه وقوته وكمال عقله مضافا الى حسنه وجماله فقد حاز نصف جمال المخلوقين وكان حسنه كضوء النهار عن الليل الأمر الذي دعا زوجة العزيز الى ما حكى الله تعالى عنها ﴿ وراودته التي هوفي بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك

قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي) فلا اخونه في اهله واعرضت زوجة العزيز في انهاء شهوتها من يوسف واصرت عليه إصراراً شديداً واغلقت عليه الأبواب فلم يكن له بد إلا الفرار والخروج من البيت فعدى إلى الباب فعدت خلفه فالتزمته من خلفه فمزقت ثيابه من ورائه لشدة قبضتها عند الباب كما قال تعالى (واستبقا الى الباب وقدت قميصه من دبر) فقد همت به ارادت منه المعصية والفاحشة وهم بها دافعها عن نفسه بقدرته واراد ضربها (لولا ان رأى برهان ربه) بانكشاف الواقع من نتيجة ذلك وهو قتله المسبب عن قذفها اياه وضربها عند امتناعها فصرف عنه السوء الذي هو القتل والفحشاء وهو ظن اقتراف الفاحشة .

وانهما عند الباب وإذا بزوجها قد اقبل مع ابن عم لها فلما رأت زوجها بادرت بالكلام والقت المسئولية والذنب على يوسف طالبة عقابه قائلة (ما جزاء من أراد بأهلك سوء الا ان يسجن او عذاب اليم) فلم يكن ليوسف بد من الصدق بتنزيه نفسه فـ (قال هي راودتني عن نفسي) وهذا قميصي كما ترون فشهد ابن عمها بما رأى مما دلت عليه قرائن الحال كما قال تعالى (وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لأنه القاصد وهي الدافعة (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لأنه الهارب وهي الطالبة فنكسوا القميص فوجدوه قد من دبر فحق لدى العزيز خيانتها وبراءة يوسف (فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم * يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) وبالرغم من ذلك فقد شاع ذلك النبأ وعرفه

الناس فكن نساء المدينة يتحدثن به ويعيرن زوجة العزيز ويلمنها ويخطئنها فبلغها ذلك فهيأت لهن مجلساً جمعت اماثلهن فيه وهن اربعون امرأة كما قال تعالى (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين * فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحدة منهن سكيناً) الآيات ، ليقطعن الفواكه المعدة لهن فلما اشتغلن بذلك (قالت اخرج عليهن) فخرج للخدمة ، او للسلام عليهن او ليرينه (فلما رأينه اكبرنه) اعظمنه وتحيرن فى جماله اذ كان كالقمر فى ليلة البدر (وقطعن ايديهن) جرحن ايديهن ولم يحسسن بالألم (وقلن حاش لله ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم) فجعلت امرأة العزيز هذا الاعتراف بالاعظام له عذرا لها فاعترفت بخطأها واباحت بما اكنه ضميرها من الاصرار فقالت (فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فاستأذن النسوة امرأة ان تخلو به كل واحدة منهن لاقناعه على موافقتها وامتثال امرها وطاعتها وقضاء حاجتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن الى نفسها فلما رأى ذلك قال (رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وإلا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) فلما يئست منه امرأة العزيز قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فاما ان تأذن لي فأخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته بالآيات الدالة عليها المشار اليها بقوله تعالى

« ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » فحبس يوسف فكان رحمة على المسجونين عامة « ودخل معه السجن فتيان » احدهما ساقي الملك والآخر صاحب طعامه فسعى بهما اليه انهما يريدان سمه فرأى الساقي في منامه كأنه يجني عنباً ويعصره في كأس الملك ويسقيه ورأى صاحب الطعام كأن فوق رأسه ثلاث سلال فيها الخبز والوان الطعام وسباع الطير تنهش فأقبلا معاً على يوسف وقصا عليه رؤياهما وقالا « نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين » فقال (اما احد كما فيسقى ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا لم نر شيئاً فقال (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) والتفت الى الساقي المظنون بنجاته وقال « اذكرني عند ربك » سيدك الملك اني محبوس ظلماً (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) سبع سنوات متواليات فأنزل الله سبحانه جبرئيل على يوسف وهو في السجن معاتباً على استغاثته بالمخلوق ومعلماً له بمدة بقائه في السجن كما قال تعالى ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ﴾ سبع سنين فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيتان وتأذى لبكائه اهل السجن فصالحهم على ان يبكي يوماً ويسكت يوماً وكان يوم سكوته أسوء حالا .

فلما انقضت المدة واذن له بدعاء الفرج وضع خده على الارض وقال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فاني اتوجه اليك بوجوه آبائي الصالحين ابراهيم واسحاق ويعقوب ففرج الله عنه وهيأ الاسباب لذلك فرأى الملك في منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف مهازيل

فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ير منهن شيئاً ورأى في منامه سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ، فجمع لها العلماء والكهنة والسحرة وطلب منهم تعبيرها فما كان منهم إلا أن (قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) فانها اباطيل وتخاليط ، فجاء الساقي وجثا بين يدي الملك وقال : يا أيها الملك اني قصصت وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فاخبر بتأويلها وصدق في جميع ما وصف فان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فاذن له فاقبل الى السجن حتى دخل على يوسف وقال (يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان) الآية فان الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها (لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون) فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن فقال يوسف في جوابه معبراً ومعلماً : أما البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجدبة واما السبع السمان والسنابل السبع الخضر فانهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وانتم (تزرعون سبع سنين دأبا) كعادتكم في الزراعة بجد واجتهاد (فما حصدتم) من الزرع (فذروه) فدعوه (في سنبله) لا تذروه ولا تدوسوه ليكون ابقى له (إلا قليلا مما تأكلون) (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) سبع سنين صعاب مجدبات تشد على الناس (يأكلن ما قدمتم لهن) نسب الأكل اليها لوقوعه فيها (إلا قليلا مما تحصنون) مما تحرزون وتدخرون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) كما هو الحال في السنين المخصبات يعصر الناس فيها العنب والزيت والسمسم وغيرها

لكثرة الثمار فارجع الى الملك واخبره فلما رجع الرسول الى الملك وأخبره (قال الملك ائتوني به) فلما جاءه الرسول وقال له اجب الملك ابى يوسف ان يخرج من السجن حتى تتضح براءته مما قذف به وقال للرسول (ارجع الى ربك) سيدك الملك (فسئله مابال النسوة التى قطعن ايديهن) ليتعرف حالهن فيعلم صحة براءتي فرجع الرسول الى الملك فأخبره بمقالة يوسف فارسل الملك الى النسوة وأمرأته معهن فقال لهن (ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) ودعوته الى غير الجميل (قلن حاشا لله ماعلمنا عليه من سوء وما فعل شيئاً مما نسب اليه وانه حبس مظلوماً) فـ (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ظهر وتبين وحصل (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فلما تبين للملك امانـــة يوسف وبرائته من السوء وعلمه امر باحضاره فجاء الرسول الى يوسف وقال له قم فان الملك يدعوك والق ثياب السجن عنك والبس ثياباً جدداً فاقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه واتى الملك بعد ان كتب على باب السجن : هذه قبور الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ، ودعا لأهل السجن قائلا اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تعم عليهم الاخبار ، ودخل على الملك وهو ابن ثلاثين سنة فلما رآه شابا حـــدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي قال نعم وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فاستخبر يوسف فوجده عالماً بها كلها فقال احب ان اسمع رؤياي منك شفاهاً فقصها عليه وعبرها له واخبره بما يجب ويلزم حول ذلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعندها قال يوسف (اجعلني على خزائن الأرض

اني حفيظ عليم) والياً عليها حتى اضعها موضعها فبقي يوسف في بيت الملك سنة كاملة وبعدها توجه الملك وقلده بسيفه وأمر بان يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم امره أن يخرج متوجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس واحبه الرجال والنساء وذلك قوله عز اسمه : (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء) .

قال الرضا صلوات الله عليه : واقبل يوسف على جمع الطعام فجمعه في السبع السنين المخصبة فكبسه الخزائن فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر ولا حولها دينار ولا درهم إلا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر أو مزرعه إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار عبد ليوسف فملك احرارهم وعبيدهم واموالهم وقال الناس ما رأينا

ولاسمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطاه هذا الملك حكما وعلما وتدبيراً وهذا هو التمكين المذكور في الآية بقوله تعالى « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء » .

فلنترك يوسف على سرير ملكه ونرجع الى أبيه وأخوته لننظر كيف حالهم في هـــذه الأزمة وكيف يأتون كغيرهم يمتارون فقد اصابهم ما اصاب الناس قالوا جمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فانه سيحسن اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف « فعرفهم وهم له منكرون » وكان ينتظر قدومهم فقال لهم بواسطة الترجمان من انتم؟ قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمان ولو تعلم بأبينا لكرمنا عليك فانه نبي الله وابن انبيائه وانه لمحزون قال وما الذى احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا ايها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن اصغرنا سناً وانه خرج يوماً معنا الى الصيد فاكله الذئب فلم يزل بعده حزيناً كئيباً باكياً فقال لهم يوسف : كلكم من أب وأم ؟ قالوا أبونا واحـــد وامهاتنا شتى قال فما حمل اباكم على ان سرحكم كلكم ألا حبس واحداً يستأنس به قالوا قد فعل ، حبس منا واحداً وهو اصغرنا سناً لأنه اخو الذي هلك من أمه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا يا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا

أحد ، فقال يوسف فأتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين وانا ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعواعندي رهينة حتى تأتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده فحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدتهم (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) الثمن الذي جاءوا به (لعلهم يعرفونها اذا أنقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون) لطلب الميرة مرة اخرى هذا بعد ان وعدهم وتوعدهم « فلما رجعوا الى ابيهم » ودخلوا عليه سلموا تسليما ضعيفاً فقال لهم يا بني مالكم تسلمون سلاماً ضعيفاً وما لي لا اسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا ابانا انا جئناك من عند ملك اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلماً وخشوعا وسكينة ووقاراً ولئن كان لك شبيه فانه يشبهك ولكنا أهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا ابن يامين برسالة منك اليه ليخبره عن حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك ومنع منا الكيل فيما يستقبل ان لم نأته بأخينا (فارسل معنا اخانا) ابن يامين ﴿ نكتل وإنا له لحافظون ﴾ من ان يصيبه سوء ومكروه ، فقال يعقوب ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظ﴾ خير من حفظكم ﴿ وهو ارحم الراحمين ﴾ .

واقبلوا الى اوعية طعامهم ففتحوها فوجدوا ثمنها فيها وكان يوسف أمر بردها عليهم بأن توضع في رحالهم فوضعت فجاؤا بها وهم لا يعلمون كما قال تعالى ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا مانبغي ﴾ مانطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل وزد علينا الثمن ﴿ هـذه

بضاعتنا ردت الينا ﴾ وبعد ان استوثق يعقوب من بنيه اجمع بكفالة بن يامين وحفظه ارسله معهم وسرحهم ﴿ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة ﴾ لئلا تصابوا بالعين او بسطوة الملك فدخلوا مصر من أبوابها الاربعة متفرقين وجاؤا يريدون الدخول ولما دخلوا على يوسف قالوا هذا أخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال احسنتم ثم انزلهم واكرمهم واضافهم وقال ليجلس كل بني ام على مائدة فجلسوا فبقي ابن يامين قائماً فرداً فقال له يوسف مالك لاتجلس قال انك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف أفما كان لك ابن أم قال بلى قال يوسف فما فعل قال زعم هؤلاء ان الذئب اكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابناً كلهم اشتققت لهم اسماء من اسمه فقال له يوسف اراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي أباً صالحاً وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الارض بالتسبيح فقال يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف واخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مائدته فجلس ابن يامين مع يوسف وقال له موريا انا أخوك مكان الهالك ﴿ فلا تبتئس بما كانوا يعملون ﴾ مطيباً لنفسه ورافعاً لوحشته .

﴿ فلما جهزهم بجهازهم ﴾ اعطاهم ما جاؤا لأجله من الكيل والميرة ﴿ جعل السقاية ﴾ الصاع او مشربة الملك ﴿ في رحل أخيه ﴾ ثم اذن المؤذن بأمر يوسف ﴿ ايتها العير ﴾ أي القافلة ﴿ انكم لسارقون ﴾ فاقبل اصحاب العير على اصحاب يوسف يسألونهم ﴿ ماذا تفقدون ﴾ من متاعكم ﴿ قالوا

نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم ﴾ - كفيل ضامن - (قالوا اخوة يوسف تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وماكنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) بظهور السرقة عندكم ﴿ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ جزاء السرق ان يستخدم السارق ويسترق على قدر سرقته «فبدأ بأوعيتهم» في التفتيش « قبل وعاء اخيه » لازالة التهمة ﴿ ثم استخرجها من وعاء اخيه ﴾ فاقبلوا على ابن يامين وقالوا فضحتنا وسودت وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع فى رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ﴿ قالوا إن يسرق فقد سرق اخ له من قبل﴾ فليست سرقته بأمر بديع فانه اقتدى بأخيه يوسف وتوضيح سرقة يوسف ان عمته الحاضنة له بعد أمه ادعت عليه منطقة حزمته بها لتكون سبباً لبقائه عندها لمحبتها اياه كما هو حكم يعقوب في السارق ان يستخدمه المسروق منه على قدر السرقة حيث ان اباه اراد ان يأخذه منها فاحتالت عليه بذلك لا كما ظنه اخوته الذين القوه في الجب وادعوا عليـــه الاباطيل ﴿ فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ ولم يقابلهم بفعلهم وعملهم سوا انه قال ﴿ انتم شر مكاناً والله اعلم بما تصفون ﴾ وضم اخاه اليه فجاؤا يتضرعون ﴿ وقالوا يا ايها العزيز ان له أباً شيخاً كبيراً فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين ﴿ الينا ونأمل هذا منك لاحسانك الينا فاجابهم يوسف بأن قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده انا إذاً لظالمون ﴾ فلما يأسوا منه اعتزلوا الناس يتشاورون في ذهابهم الى ابيهم عن غير اخيهم كما قال تعالى ﴿ فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا ﴾ يتناجون فيما بينهم فقال شمعون

كبيرهم في العقل والعلم ﴿ ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله ﴾ الآية الى ان قال ﴿ ارجعوا إلى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ الى آخر ما ذكره الله تعالى من مقالهم فقال لهم ابوهم يعقوب ماعندي ان الامر على ماتقولونه ﴿ بل سولت لكم انفسكم امراً ﴾ فيما اظن ﴿ فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً ﴾ ﴿ وتولى عنهم وقال يا اسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ فقد بلغ من من حزنه حزن سبعين حرى ثكلى فقال له وُلده ﴿ تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً ﴾ دنفا فاسد العقل (او تكون من الهالكين) الميتين تبرماً ببكائه اذ تنغص عيشهم بذلك او اشفاقاً عليه ورحمة له فاجابهم ﴿ قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ﴾ وفي هذه الآونة بعد ابن يامين انزل الله سبحانه عليه جبرئيل فقال يا يعقوب ان الله يقرأ عليك السلام ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاماً للمساكين فان احب عبادي الي المساكين اوتدري لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك لانكم ذبحتم شاة واتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئاً فكان يعقوب بعد ذلك اذا اراد الغذاء امر منادياً ينادي ألا من اراد الغذاء من المساكين فليتغذ مع يعقوب واذا كان صائماً امر منادياً ينادي ألا من كان صائماً فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ في صحيحه وان يعقوباً سأل ربه ذات يوم ان يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الارواح فقال لا فعلم انه حي فقال ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ﴾

استخبروا من شأنهما واطلبوا خبرهما وانظروا ملك مصر ما اسمه وعلى اي دين هو فانه القى في روعي ان الله حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس اخيه عند نفسه ﴿ ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ فتجهزوا يريدون مصر ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر ﴾ الجوع والحاجة والشدة بهلاك المواشي والبلاء ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ دراهم ردية زيوفا ﴿ فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ﴾ برد اخينا ﴿ ان الله يجزي المتصدقين ﴾ وهذا كتاب ابينا يعقوب اليك في امره يسألك تخلية سبيله فمنّ به علينا فاخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضعه على عينه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص ، ونص الكتاب كما عن أبي عبد الله عليه السلام :-

(بسم الله الرحمن الرحيم ، الى عزيز مصر ، ومظهر العدل ، وموفي الكيل ، من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صاحب النمرود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه بردا وسلاماً وانجاه منها ، اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعاً من الله تعالى ليبلونا عند السراء والضراء ، وان المصائب تتابعت عليّ عشرين سنة اولها انه كان لي ابنٌ سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي ، وقرة عيني ، وثمرة فؤادي وان اخوته من غير امه سألوني ان ابعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكره فجاؤني عشاءً يبكون وجاؤا على قميصه بدم كذب وزعموا ان الذئب اكله فاشتد لفقده حزني ، وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيناي من

الحزن وانه كان له أخ وكنت به معجباً وكان لي انيساً ، وكنت اذا ذكرت يوسف ضممته الى صدري فسكن بعض ما اجد في صدري ، وان اخوته ذكروا لي انك سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به فان لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إلي وليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني وفجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى نقوص ذلك ظهري ، وعظمت به مصيبتي ، مع مصائب تتابعت علي فمن علي بتخلية سبيله واطلاقه من حبسك ، وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر ، واوف لنا الكيل ، وعجل سراح آل ابراهيم) .

فلما قرء الكتاب أقبل عليهم وقال : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) ما أعظم ما ارتكبتم وما اقبح ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه ﴿ اذ انتم جاهلون ﴾ ورفع التاج عن رأسه فعرفوه و ﴿ قالوا أانك لأنت يوسف قال انا يوسف ﴾ المظلوم المراد قتله ﴿ وهذا أخي قد منّ الله علينا ﴾ بالاجتماع وبكل خير في الدنيا والآخرة ﴿ انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴿ فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك ﴿ وان كنا لخاطئين ﴾ آثمين فيما فعلنا ، قال ﴿ يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ في عفوه عنكم ماتقدم من ذنبكم ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني باهلكم اجمعين ﴾ فتنافسوا في القميص كل يريد أخذه فقال يوسف إنما يذهب بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا أنا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فاخبرته انه اكله الذئب قال فاذهب بهذا

ايضاً فاخبره انه حي وافرحه كما احزنته . فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت المسافة بينهما ثمانين فرسخاً فلم يستوف الارغفة في الطريق وبالرغم من هذه السرعة الشديدة فقد وجد يعقوب ريح يوسف قبل مسيرة ثمان ليال وذلك ان ريح الصبا استأذنت ربها ان تحمل ريحه فتلقيه على يعقوب قبل وصول البشير بهذه المدة ونبه يعقوب على ذلك اذ كان جالساً مع احفاده اذ قال (اني لأجد ريح يوسف لو لا تفندون) تقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله ﴿ فلما ان جاء البشير ﴾ وهو يهوذا ﴿ القاه على وجهه فارتد بصيرا ﴾ عاد اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال البشير ما ادري ما اثيبك به هون الله عليك سكرات الموت .

وبعد ايام: وصل جملة اخوة يوسف الى ابيهم مجهزين بما في راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر مأمورين بتجهيز اهلهم جميعاً الى مصر فقال يعقوب لولده تحملوا الى يوسف من يومكم هذا باهلكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام يامين فحثوا السير فرحا وسروراً تسعة ايام الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب ليهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام قائلا : السلام عليك يامذهب الأحزان وبكى كل منهما فرحاً وسروراً (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) (فلما دخلوا مصر آوى اليه ابويه) ضمهما اليه وانزلهما عنده ﴿ ورفع ابويه على العرش ﴾ وهو سرير الملك اعظاماً لهما وتكريماً ثم دخل منزله وادهن

وتطيب ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا له جميعا اعظاما له وشكراً لله عند ذلك « وقال يوسف يا ابة هذا تأويل رؤياي قد جعلها ربي حقا»

الى هنا فلندع يوسفاً وأباه وامه واخوته يتمتعون بالملك وعظيم الزلفى ونعود الى تلك البائسة زوجة العزيز زليخا صاحبة يوسف فقد تركناها معترفة بالذنب منزهة ليوسف تردد الآهات والحسرات عليه وتنظر إلى ما آل أمرها .

في تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال : لما مات العزيز وذلك في السنين المجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم يسمونه بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فاقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا فقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال يوسف أأنت تلك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك فيّ قالت دعني بعد ما بئست انهزأ بي ؟ قال لا قالت نعم ، قال فأمر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فلما جاء الى المنزل قال لها ألست فعلت بي كذا وكذا ؟ قالت يا نبي الله لا تلمني فاني بليت في بلاء لم يبل به أحد قال وماهو ؟ قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بانه لم تكن بمصر امرأة أجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله تعالى ان يرد عليّ شبابي فسأل فرد عليها فتزوجها وهي بكر فولدت له افرايم وميشا ورحمة التي تزوجها أيوب .

وتوفى بعد أبيـــه بثلاثة وعشرين سنة عن عمر لا يقل عن مائة وعشر سنين ودفن في النيل في صندوق من الرخام ، وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلته لما كان يرجون من بركته فرأوا ان يدفنوه فى النيل فيمر عليه الماء ثم يصل الى جميع مصر فيكونون فيه كلهم شركاء وفي بركته شرع سواء ، فكان قبره في النيل الى ان حمله موسى حين خرج من مصر .

فى القبر

(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) (*).

روي الكليني . ره . عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي «ع» قال : ان ابن آدم اذا كان في آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة مثل له ولده وماله وعمله فيلتفت الى ماله فيقول : والله اني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فما لي عندك فيقول خذ منك كفنك ، فيلتفت الى ولده فيقول والله اني كنت لكم لمحباً وعليكم لحامياً فماذا لي عندكم فيقولون نرسلك الى حفرتك نواريك فيها قال فيلتفت الى عمله فيقول : والله اني كنت فيك لزاهـد وانك علي لثقيلا فماذا لي عندك فيقول انا قرينك في قبرك ويوم

(*) آية ٢٧ من سورة ابراهيم .

تشرك حتى اعرض انا وانت على ربك ، قال : فان كان الله وليا اتاه اطيب الناس ريحا واحسنهم منظراً واحسنهم رياشا فقال له : ابشر بروح وريحان وجنة ونعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من انت؟ فيقول انا عملك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجله فاذا ادخل قبره اتاه ملكا القبر بجران اشعارهما ويخدان الأرض بانيابهما اصواتهما كالرعد القاصف ابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ومن امامك؟ فيقول الله ربي وديني الاسلام ومحمد نبي وعلي بن أبي طالب واولاده المعصومين أئمتي ، فيقولان له ثبتك الله فيما تحب وترضى وذلك قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا الى الجنة ويقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فان الله سبحانه يقول اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلا .

قال : واذا كان لربه عدوا فانه يأتيه اقبح خلق الله زيا وانتنه ريحا فيقول ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله ويناشد حملته ان يحتبسوه فاذا ادخل القبر اتاه ملكا القبر فألقيا اكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول لا ادري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ماخلا الثقلين ثم يفتحان له بابا الى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل مافيه القناة من الزج حتى ان دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى

يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة مما فيه من الشر ، نعوذ بالله من عذاب القبر .

— ٤٢ —

المعراج

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ۞ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ .

روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال : اتاني جبرئيل وانا بمكة فقال قم يامحمد فقمت معه وخرجت الى الباب فاذا جبرئيل ومعه ميكائيل واسرافيل فأتى جبرئيل بالبراق وهو فوق الحمار ودون البغل خده كخد الانسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال اركب فركبت ومضيت حتى انتهيت الى بيت المقدس واذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس ثم اخذ جبرئيل بيدي الى الصخرة فاقعدني عليها فاذا معراج الى السماء لم ار مثلها حسناً وجمالا فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلمون علي ثم صعد بي جبرئيل الى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بي الى السماء الثالثة فرأيت فيها

يوسف ثم صعد بي الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس ثم صعد بي الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعد بي الى السماء السادسة فرأيت فيها موسى وخلقاً كثيراً يموج بعضهم في بعض ومنها الكروبيون ثم صعد بي الى السماء السابعة فرأيت ابراهيم وخلقاً وملائكة ثم جاوزناها متصاعدين الى اعلى عليين ثم كلمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى .

وكان صلى الله عليه وآله حين بلغ من ربه كقاب قوسين أو أدنى منفرداً حيث ان جبرئيل تركه اثناء الطريق قائلا له سر ما وطأ نبي قط مكانك وهناك على بساط القدرة والعظمة كانت المناجاة بين الله تبارك وتعالى وعبده نبينا محمد صلى الله عليه وآله واكثرها في مصالح الأمة وقد نزل بكاملها جبرئيل قرآناً يتلى ابتداءً من قوله تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ﴾ فقال النبي (ص) نعم ﴿ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله ﴾ الى آخر سورة البقرة فراجع وصدرت الموافقة من رب العزة تبارك وتعالى على كل ماطلبه النبي . ص . بقوله تعالى قد فعلت والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الضحى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ .

كما عرفت من النبي . ص . بكثير من الملائكة فما منهم إلا مسلم عليه وباسم اليه ومستبشر به حتى من بملك لم ير منه مثل ذلك بل هو كئيب حزين فقال يا جبرئيل ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هذا الملك فمن هذا ؟ فقال هذا مالك خازن جهنم وهكذا جعله الله

تعالى فقال له النبي (ص) يا جبرئيل اسأله أن يريني اياها فقال جبرئيل : يامالك هذا محمداً رسول الله وقد شكا إلي فقال مامررت باحد من الملائكة إلا استبشر بي فاخبرته وقد سألني أن أسألك أن تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من اطباقها فما رؤي رسول الله (ص) ضاحكا حتى قبض .

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله انه قال : ورأيت في النار كل مشرك ومشركة وجاحد وجاحدة وزان وزانية وحاسد وحاسدة ونمام ونمامة وقاتل النفس وناقض العهد وخائن الامانة والمؤذي جاره وتارك الصلاة ومانع الزكاة وتارك الحج وناصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام إلى غير ذلك من ذوى الكبائر المتوعد عليها النار نعوذ بالله منها ونسأله العصمة من موجبها .

وفى روضة الواعظين لابن الفتال ما نصه : ثم مضى (ص) حتى انتهى حيث انتهى وفرضت عليه الصلاة خمسون صلاة قال فاقبل فلما مر بموسى قال يامحمد كم فرضت الصلاة على أمتك ؟ قال خمسون قال ارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عن امتك قال فرجع ثم مر على موسى فقال كم فرض على امتك قال كذا وكذا قال : ان امتك أضعف الأمم ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عن أمتك فاني كنت في بني إسرائيل فلم يكونوا يطيقون إلا دون هذا فلم يزل يرجع الى ربه عز وجل حتى جعلها خمس صلوات قال ثم مر على موسى قال فكم فرض على امتك قال خمس صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عن امتك قال قد استحييت من ربي مما ارجع اليه ثم مضى فمر على ابراهيم خليل الرحمن فناداه قال يا محمد اقرأ امتك

مني السلام واخبرهم ان الجنة ماؤها عذب وتربتها طيبة قيعانها بيض غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فمرامتك فليكثروا من غرسها .

— — —

— ٤٣ —

عاقبة الفساد فى بنى اسرائيل

﴿ وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ﴾ إلى آية ٨ .

ففي المرة الأولى غزاهم بخت نصر ، وفي الثانية ملك من الروم ، وحاصل قصة الأولى والثانية ان بني اسرائيل بعث الله تعالى فيهم نبياً اسمه شعيباً وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد (ص) وكان لبني إسرائيل ملك كان شعيباً يرشده ويسدده فمرض الملك فاغتنم الملك سنحاريب ذلك فجاء غازيا بلاده فوصل الى باب بيت المقدس بستمائة الف راية فدعا الله سبحانه شعيباً فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب وجنوده إلا خمس نفر ، منهم سنحاريب فهرب وارسلوا خلفه من اخذه ثم أمر سبحانه باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وبعد مدة هلك ملك بني إسرائيل فمرج امرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضاً فقام شعيباً فيهم خطيباً ووعظهم بعظات بليغة وامرهم ونهاهم فهموا بقتله فهرب فجاؤا في طلبه ليقتلوه فلم يجد ملجأ إلا ان يدخل في شجرة فاحسوا به فقطوا الشجرة بالمنشار فبعث الله

اليهم ارميا من سبط هارون ثم خرج من بينهم لما رأى من امرهم فلما عتوا واظهروا الفساد في الارض سلط الله عليهم بخت نصر وكان من جيش نمرود وكان لزانية لا يعرف له اب فظهر على بيت المقدس واحرق التوراة وخرب المسجد والقى الجيف فيه وقتل منهم سبعين الفاً وأغار عليهم واخرج أموالهم وسبى ذراريهم وأسر منهم سبعين الفاً وذهب بالجميع الى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة واستولى ملك من ملوك فارس مسمى بـ « كورش » فردهم إلى الشام وبنى المسجد لهم فبقوا ما شاء الله من السنين مما يزيد على المأتين فبطروا النعمة وعتوا عتواً كبيراً واظهروا الفساد في الارض بقتل يحيى بن زكريا كما ستعرف فسلط الله عليهم ملك الروم فقتل منهم مائة الف وثمانين الفاً وخرب بيت المقدس وبقى خرابا حتى بناه عمر بن الخطاب ايام خلافته .

وكان سبب قتل يحيى بن زكريا هو كما روي فى الدمعة الساكبة ما معناه : ان يحيى بن زكريا كغيره من سائر الأنبياء في تبليغ الرسالة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان ملكا كان على عهده لم يكفه ما كان عليه من الطروقة حتى تناول امرأة بغياً فكانت تأتيه حتى أسنت فلما اسنت هيأت ابنتها ثم قالت لها اني اريد ان آتي بك الملك فاذا واقعك سألك ما حاجتك فقولي حاجتى ان تقتل يحيى بن زكريا فلما جاءت بها اليه اعجبته فواقعها فسألها عن حاجتها فقالت قتل يحيى بن زكريا فلما كان في الثالثة بعث الى يحيى فجيء به فدعا بطشت فذبحه فيها وصبوه على الارض فارتفع الدم وعلا فاقبل الناس يطرحون عليه التراب فعلا عليه الدم حتى صار تلاً

عظيم ومضى ذلك القرن فلما كان من أمر ملوك الروم ما كان ورأوا ذلك الدم سألوا عنه فلم يجدوا أحداً يعرفه فدلوا على شيخ كبير فسألوه فقال اخبرني ابي عن جدي انه كان من قصة يحيى كذا وكذا الدم دمه فقالوا لنقتلن عليه حتى يسكن فقتلوا حتى بلغت القتلى ما تقدم ذكره .

— ٤٤ —

أهل الكهف

﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ .

وكانوا ستة نفر من أمثل أهل زمانهم عقلا وعلماً وأدبا ومعرفة وبيناً وكانوا جميعهم وزراء لملكهم المدعى للروبية المعروف بـ ﴿ دقيوس ﴾ وانهم يجتمعون في كل يوم عند واحد منهم وأسماؤهم تمليخا مكلمينا مشلينا مرنوس ديرنوس سادريوس ، فاجتمعوا ذات يوم عند تمليخا فقال لهم : ياإخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني من الطعام والشراب والمنام فقالوا وما ذاك ؟ فقال اطلت فكري في السماء فقلت من رفع سقفها محفوظة بلا عمد تحتها ولا علاقة فوقها ومن أجرى فيها شمساً وقمراً آتيان مبصرتان ومن زينها بالنجوم ثم اطلت الفكر في الارض فقلت من سطحها على صميم الماء الزخار ومن حبسها بالجبال ان تميد وأطلت فكري في نفسي من أخرجني من بطن امي ومن غذاني ومن رباني ، ان لها صانعاً ومدبراً غير

دقيوس الملك وما هو إلا ملك الملوك وجبار السماوات والارض فقالوا جميعاً ونحن نرى ذلك فما ترى؟ فقال اعتزلوا دقيوس وقومه ﴿ فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ فاتفقوا على ذلك وقام تمليخا واخذ شيئاً من الدراهم فى كمه وركب وأصحابه خيولهم وخرجوا من المدينة فلما ساروا ثلاثة أميال قال لهم تمليخا يا إخوتاه قد جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا انزلوا عن خيولكم وامشوا على ارجلكم لعل الله ان يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على ارجلهم ما شاء الله فاستقبلهم راع فقالوا : أيها الراعي هل من شربة من ماء او لبن ؟ فقال الراعي عندي ما تحبون ولكن ارى وجوهكم وجوه الملوك وما اظنكم إلا هرابا من دقيوس الملك ! قالوا : يا هذا لا يحل لنا الكذب أفينجينا منك الصدق؟ قال نعم ، فاخبروه بقصتهم فانكب على ارجلهم يقبلها ويقول يا قوم لقد وقع فى قلبي ما وقع فى قلوبكم ولكن امهلوني حتى ارد الاغنام على اربابها والحق بكم فتوقفوا له فرد الاغنام وأقبل يسعى يتبعه الكلب واسمه (قطمير) فخافوا الفضيحة بنباحه فطردوه بالحجارة فانطقه الله تعالى وقال ذروني حتى احرسكم من عدوكم فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلا فانحط بهم على كهف يقال له (الوصيد) فاذا بفناء الكهف عيون واشجار مثمرة فاكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا إلى الكهف فاوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض ارواحهم ووكل الله بكل رجل ملكين يقلبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال وأوحى الله تعالى إلى خزان الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات

الشمال فلما رجع دقيوس من عيده سأل عنهم فاخبر أنهم خرجوا هرابا فركب في طلبهم ثمانين الف فلم يزل يقفوا أثرهم حتى علا الجبل فاشرف على كهفهم فلما نظر اليهم فاذا هم نيام فقال لو أردت ان اعاقبهم بشيء لما عاقبتهم باكثر مما عاقبوا به انفسهم ولكن سأتوني بالبنائين فسد باب الكهف بالكلس والحجارة وقال لأصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذي في السماء لينجينهم وان يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما أراد الله ان يحييهم أمر إسرافيل ان ينفخ فيهم الروح فنفخ فقاموا من رقدتهم فلما ان بزغت الشمس قال بعضهم قد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة إله السماء فقاموا فاذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست فقال بعضهم ان امرنا لعجيب مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والأشجار قد يبست في ليلة واحدة ومسهم الجوع فقالوا ﴿ ابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا ﴾ قال تمليخا لا يذهب في حوائجكم غيري فخرج متوجها نحو المدينة فرأى موضعا لا يعرفها وطريقا ينكرها حتى اتى باب المدينة وإذا على الخضر مكتوب عليه (لا إله إلا الله عيسى رسول الله) فجعل ينظر الى العلم ويمسح بعينه ويقول اراني نائما ثم دخل إلى السوق فاتى رجلا خبازا فقال ايها الخباز ما اسم مدينتكم هذه قال افسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن فقال ادفع لي بهذا الورق طعاما فتناولها منه وجعل يتعجب من ثقل الدراهم ومن كبرها فقال يا هذا أنت اصبت كنزا فقال تمليخا ما هذا إلا ثمن تمر بعتها منذ ثلاث وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيوس الملك ، فقال له

الخباز هلم معي فجاء به آخذاً بيده حتى ادخله على الملك فقال ما شأن هذا الفتى ؟ فقال له هذا رجل اصاب كنزاً فقال الملك : يا فتى لا تخف فان نبينا عيسى امرنا أن لا نأخذ من الكنز إلا خمسها فاعط خمسها وامض سالماً فقال تمليخا انظر ايها الملك في امري ما اصبت كنزاً انا رجل من أهل هذه المدينة فقال الملك انت من اهلها ؟ قال نعم قال فهل تعرف بها أحداً ؟ قال نعم قال ما اسمك قال اسمي تمليخا قال وما هذه الاسماء اسماء أهل زماننا هل لك في هذه المدينة دار قال نعم اركب ايها الملك معي فركب والناس معه فاتى بهم ارفع دار في المدينة فقال هذه الدار لي فقرع الباب فخرج اليه شيخ وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر فقال ما شأنكم فقال الملك اتانا هذا الغلام بالعجائب يزعم ان هذه الدار داره فقال له الشيخ من انت قال تمليخا بن قسطيكين فانكب الشيخ على قدميه يقبلهما ويقول جدي ورب الكعبة والتفت الى الملك وقال ايها الملك هذا تمليخا وخمسة معه هم الستة الذين هربوا من دقيوس الملك فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه فقال الملك يا تمليخا وما فعل أصحابك فاخبر انهم في الكهف وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم وملك يهودي فركبوا في اصحابهم فلما صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا : اني اخاف ان يسمع اصحابي صوت حوافر الخيول فيظنون ان دقيوس الملك قد جاء في طلبهم ولكن امهلوني حتى اتقدم فاخبرهم فوقف الناس واقبل تمليخا حتى دخل الكهف فلما نظروا اليه اعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجانا من دقيوس قال تمليخا دعوني عنكم وعن دقيوسكم فكم لبثتم قالوا لبثنا يوماً

او بعض يوم ﴾ قال تمليخا ﴿ بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين ﴾ وقد مات دقيوس وقرن بعد قرن وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى بن مريم ورفعه الله اليه وقد اقبل الينا الملك والناس معه قالوا يا تمليخا اتريد ان تجعلنا فتنة للعالمين قال تمليخا فما تريدون قالوا ادع الله جل ذكره وندعوا معك حتى يقبض ارواحنا فرفعوا ايديهم فامر الله تعالى بقبض ارواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس فاقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة ايام فلم يهتدوا له ، وقيل دخلوا عليهم كهفهم واطلعوا عليهم وجعلوا يسألونهم وانهم فى ذلك معهم اذ سقطوا ميتين فذلك قوله تعالى ﴿ وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق وان الساعة لاريب فيها ﴾ ولا شك فان من قدر على ان ينيم جماعة تلك المدة المديدة احياء ثم يوقظهم قدر ايضاً على ان يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك.

— ٤٥ —

موسى والخضر

﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾.

عن ابن عباس قال : اخبرني ابي بن كعب قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : ان موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فسئل أي الناس اعلم؟ قال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي

عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك، قال موسى فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل ثم انطلق ،ففعل وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به فقال فتاه (ارأيت اذ آوينا الى الصخرة) الآية فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فوجدوا رجلا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وعليك السلام يانبي بني اسرائيل فقال له موسى ومن ادراك من انا ومن اخبرك اني نبي؟ قال من ذلك علي فقال له موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال انك لن تستطيع معي صبرا) يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمك لا اعلمه أنا فقال له موسى (ستجدني ان شاء الله صابراً ولا اعصي لك امرا) فقال له الخضر ﴿ فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبنا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئاً امراً قال ﴿ ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من

امري عبرا ﴾ فلما خرجا من السفينة وجعلا يمشيان على الساحل واذا هما بغلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقلعه فقتله فقال له موسى « اقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا * قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا * قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا * » الى آخر الآيات فانها وافية بالقصة .

ذو القرنين

« ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً انا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا » .

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : كان ذوالقرنين عبداً صالحاً احب الله واحبه الله وناصح الله وناصحه ، قد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ماشاء الله ثم رجع اليهم فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذانك قرناه وفيكم مثله - يعني نفسه عليه السلام ، سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء كما قال الله تعالى : ﴿ انا مكناه في الأرض ﴾ بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها « وآتيناه من كل شيء سببا » علما يتسبب به إلى ارادته ويبلغ به حاجته « فاتبع سببا » طريقا واحداً في سلوكه في المسير الى المغرب ﴿ حتى اذا بلغ

مغرب الشمس) آخر العمران من جانب المغرب وهناك وجد قوما مشركين لم يكن ورائهم احد الى موضع غروب الشمس فالهمه الله تعالى التخيير بين التعذيب او التأديب بقوله تعالى (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذيب واما ان تتخذ فيهم حسنا) فقضي فيهم بقضاء الله تعالى فقال ماحكاه الله عنه : (اما من ظلم فسوف نعذبه) فقتله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) اشد من القتل وهو النار (واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا) (ثم اتبع سببا) سلك طريقا آخراً ليؤديه إلى المشرق من مطلع الشمس فلما بلغه (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) فليس في ارضهم جبل ولا شجرة ولا بناء فكانوا اذا طلعت الشمس يغورون في المياه والاسراب واذا غربت تصرفوا فى امورهم ، فجاوزهم ذو القرنين (حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) ففهم الله ذا القرنين لغتهم كما فهم سليمان منطق الطير حيث (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) فلا يدعون شيئا اخضر إلا اكلوه ولا يابسا إلا احتملوه من كل شيء .

وعن حذيفة قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن يأجوج ومأجوج ، فقال : يأجوج امة ومأجوج امة كل امة اربعمائة امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ؟ الى الف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ؟ قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز قلت يا رسول الله وما الارز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم

طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش إلا اكلوه ولا جمل ولا خنزير إلا اكلوه ومن مات منهم اكلوه ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية اهـ .

فمنوا بهم اولئك المجاورون لهم حتى من الله عليهم بمرور ذى القرنين بهم ففزعوا اليه شاكين فعالهم من الفساد قائلين (فهل نجعل لك خرجا) بعضاً من اموالنا (على ان تجعل بيننا وبينهم سدا) حائطا يمنعهم من الاتصال بنا فقال ذو القرنين (ما مكنني فيه ربي خير) مما عرضتموه علي من اموالكم (فاعينوني بقوة) برجال (اجعل بينكم وبينهم ردما) سدا حاجزا لايستطيعون له نقبا فابتدأ بالعمل فقال (آتوني زبر الحديد) فما زالوا يأتونه بذلك وهو يبنى « حتى اذا ساوى بين الصدفين » الجبلين (قال انفخوا) عليه بالنار فاوقدوا النار على ذلك الحديد ونفخوها بمنافخ الحدادين « حتى اذا جعله ناراً » في منظره من الحمى واللهب وصار قطعة واحدة لزم بعضه بعضاً (قال آتوني افرغ عليه قطرا) الشيء المذاب من النحاس والرصاص والحديد فصب الجميع على ذلك الحديد المحمي الملتهب فصار جداراً مصمتاً فكانت حجارته الحديد وطينته النحاس المذاب ونحوه من الرصاص وغيره فلما تم وكملت بنايته (فما استطاعوا ان يظهروه) ان يعلوا عليه ويصعدوه لعلوه وارتفاعه (وما استطاعوا له نقبا) ان ينقبوا اسفله لكثافته وصلابته حيث ان ارتفاعه مائتا ذراع فى عرض خمسين ذراع وموقع هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط فلما كمل قال ذوالقرنين

﴿ هذا رحمة من ربي ﴾ نعمة من الله تعالى انعم بها على عباده فى دفع شر يأجوج ومأجوج .

وان يأجوج ومأجوج لما رأوا السد جعلوا يدأبون فى حفره نهارهم حتى اذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى اذا جاء وعدالله قالوا غداً نفتح ونخرج ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع وفيها كهيئة الدم فيقولون قد قهرنا اهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله تعالى عليهم نغفاً فى اقفائهم فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فسبحان القادر على كل شيء .

— ٤٨ —

يوم القيامة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * ﴾ .

نزلت اوائل هذه السورة ليلا والنبي (ص) فى غزاة بني المصطلق وهم حي من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله (ص) فحثوا المطي

حتى كانوا حوله فقرأها عليهم فلم يرأكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس بين باك او جالس حزين متفكر فقال رسول الله (ص) اتدرون اي يوم ذاك ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول من كم كم فيقول الله عز وجل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة، فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يا رسول الله ؟ فقال ابشروا فان معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ماكانتا في شيء الاكثرتاه ، ماانتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الاسود او كرقم في ذراع البكر او كشامة في جنب البعير ثم قال اني لأرجوأن تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال «ص» اني لأرجوأن تكونوا ثلثي أهل الجنة فكبروا وان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها أمتي ثم قال ويدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب ، فقام بعض اصحابه وقال يارسول الله سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن وقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل من الانصار وقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال ﴿ ص ﴾ سبقك بها عكاشة .

النبي وعشيرته

﴿ وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ .

في الخبر المأثور عن البراء بن عازب انه قال : لما نزلت هـذه الآية جمع رسول الله (ص) بني عبـد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس ، فامر عليا «ع» برجل شاة فأدمها ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فاكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قـال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم ابو لهب وقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الشراب والطعام ثم انذرهم (ص) فقال يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجـل والبشير فاسلموا واطيعوني تهتدوا ثم قال من يواخيني ويوازرني ويكون ولي ووصيي بعدي وخليفتي في اهلي ويقضي دبني؟ فسكت القوم فاعادها ثلاثا كل ذلك يسكت القوم ويقول علي «ع» انا فقال في المرة الثالثة انت فقام القوم وهم يقولون لابي طالب اطع ابنك فقد امر عليك وصعد (ص) على الصفا ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال ارأيتكم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا بلى قال فاني نذير لكم

بين يدي عذاب شديد ، قال ابو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا جميعا فانزل الله تعالى ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ . الآية

— ٤٩ —

أهل الإفك

﴿ ان الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهما عن عائشة انها قالت : كان رسول الله (ص) اذا اراد سفراً اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا في غزوة بني المصطلق فخرج فيها سهمي وذلك بعد ما انزل الحجاب فخرجت مع رسول الله (ص) حتى فرغ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد عن جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركبه وهم يحسبون اني فيه فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسموت الى منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني ويرجعون إلي، فبينا انا جالسة اذ غلبتني

عيناي فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فاصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة حتى اناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في حر الظهيرة فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت شهراً والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا اشعر بشيء من ذلك ورسول الله (ص) يريبني في وجعي غير اني لا اعرف منه اللطف الذي كنت اعرفه حين اشتكي إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي ام مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا قد شهد بدراً فقالت اي هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضاً الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله (ص) ثم قال كيف تيكم أي حالكم قلت اتأذن لي ان آتي ابوي قالت وانا اريد ان اتيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله فجئت ابوي وقلت لأمي يا اماه ماذا يتحدث به الناس ؟ فقالت بنية هوني عليك فو الله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قلت سبحان الله او قد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكث

تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم فأصبحت وانا ابكي فلم ازل حتى انزل الله على نبيه واخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحي فلما سرى عن رسول الله (ص) قال ابشري يا عائشة اما والله فقد برأك.

— ٥٠ —

الملاعنة

﴿ والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا انفسهم فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ﴾ .

عن ابن عباس قال : قال سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله لو اتيت لكاعا وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي باربعة شهداء فوالله ما كنت آتي باربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال النبي ﷺ يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما قال سيدكم فقالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكراً ولا طلق أمراة له فاجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد : يا رسول الله بأبي انت وامي والله اني لأعرف من الله تعالى وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبرتك فقال فان الله يأبى إلا ذاك فقال سعد صدق الله ورسوله .

فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال ابن أمية من

حديقة له قد رأى رجل مع أمرأته فلما اصبح غدا الى رسول الله (ص) فقال اني جئت اهلي عشاء فوجدت معها رجلا رأيته بعيني وسمعته باذني فكره ذلك رسول الله (ص) حتى رأي الكراهية في وجهه فقال هلال اني لأرى الكراهة في وجهك والله يعلم اني لصادق واني لأرجو ان يجعل الله فرجا فهم رسول الله يضربه فاجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا عن الكلام حين عرفوا ان الوحي قد نزل فانزل الله تعالى ﴿ والذين يرمون ازواجهم ﴾ الآيات فقال رسول الله ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله تعالى فقال ارسلوا اليها فجائت فلاعن بينهما فلما انقضى اللعان فرق بينهما .

وهذا من أقل موجبات الزنا الذي هو من اعظم الفساد في الارض ولذا كانت عقوبته أشد من غيره من سائر الموبقات ، فان الزاني المحصن يرجم وغيره يجلد مأة جلدة علانية بدون اي رأفة وفي الآخرة من اصحاب النار .

ومولوده خبيث سيء المحضر هو إلى الشر اقرب منه الى الخير ومن اظهر علاماته بغضه لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قال المستنصر العباسي :

قسما بمكة والحطيم وزمزم والراقصات وسعيهن الى منى
بغض الوصي علامة معروفة كتبت على جبهات اولاد الزنا
من لم يوالي في البرية حيدراً سيان عند الله صلى ام زنا

وقالت ام المؤمنين عائشة :

إذا التبر حُك على محك تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفى علي بيننا شبه المحك

— ٥١ —

الظالم

﴿ ويوم يعَّض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا ﴾ .

قال ابن عباس نزل قوله تعالى : « ويوم يعض الظالم » في عقبة بن ابي معيط وابي بن خلف وكانا متخالفين كل خليل للآخر ، وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً ودعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعى الناس فدعى رسول الله (ص) إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله (ص) : ما أنا آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله واني محمد رسول الله فقال عقبة : اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله وبلغ ذلك أبي بن خلف فقال صبأت الى دين محمد ياعقبة قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن اطعمه من طعامي إلا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ابي ما كنت براض عنك ابداً حتي تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فرجع بزاقه في وجهه

فاحرق خده فارتد عدو الله وأخذ رحم دابة فالقاها بين كتفي النبي (ص) فقال النبي لا افلتك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبرا وأما ابي بن خلف فقد قتله النبي (ص) يوم أحد بيده في المبارزة ،

وقيل ان الآية نزلت في كل كافر او ظالم تبع غيره في الكفر او الظلم وترك متابعة امر الله تعالى ، وقال ابو عبد الله عليه السلام ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت الآية او آيتان تقوده الى جنة او تسوقه الى نار تجري في من بعده ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً .

الرس

﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعاداً وثمود واصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا له تتبيرا ﴾ .

جاء عن امير المؤمنين علي عليه السلام ان من قصة اصحاب الرس انهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها «شاه درخت» كان يافث أبن نوح غرسها على عين ماء يقال لها «روشاب» كانت انبعت لنوح بعد الطوفان وإنما سموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الارض دذلك بعد سليمان بن داود وكانت لهم اثنا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له

الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض نهر اغزر منه ولا اعذب منه ولا ترى اكثر ولا اعمر منها فسمي احداهن (ابان) والثانية (آذر) والثالثة «دي» والرابعة «بهمن» والخامسة «اسفندار» والسادسة «فروردين» والسابعة «اردیبهشت» والثامنة «خرداد» والتاسعة «مرداد» والعاشرة «تير» والحادي عشر «مهر» والثانية عشر «شهر يور» وكانت اعظم مدائنهم اسفندار وهي التي ينزلها ملكهم ويسمى تركوز بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وبها عين والصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت وصارت الحبة شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والانهار ولا يشربون منها ولا انعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد ان ينقص من حياتنا ويشربون هم وانعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل قرية من كل شهر من السنة عيداً يجتمع اليه اهلها فيضربون على الشجرة التي بها كلة من حرير فيها من انواع الصور ثم يأتوه بشاة وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر الى السماء خروا سجداً للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك اغصانها ويصيح من ساقها الصي اني قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقروا عيناً فيرفعوا رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدست بند فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون وإنما سمت العجم شهورها بآبان ماه وآذر ماه وغيرها اشتقاقا

من اسماء تلك القرى يقول اهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقا من ديباج عليه انواع الصور ، له اثنا عشر بابا كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للشجرة خارجا من السرادق ويقربون لها من الذبائح اضعاف ما يقربون للشجرة التي في قرامفيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهوريا ويعدهم ويمنيهم باكثر ما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها فيرفعون رؤسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثنى عشر يوماً وليالها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله عزوجل وعبادتهم غيره بعث الله سبحانه اليهم نبياً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زماناً طويلا يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ومعرفته وربوبيته فلا يتبعونه فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال : يارب ان عبادك ابوا إلا تكذيبي والكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم اجمع وارهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم فهالهم ذلك وفظع بهم وصاروا فرقتين فرقة قالت سحر آلهتكم هذا الرجل الذى زعم انه رسول من إله السماء والارض اليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم الى إلهه وفرقة قالت لا بل غضب آلهتكم حين رأت هذا الرجل بعينها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا

عليه فتنتصروا منه فاجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنابيباً طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم ارسلوها في قرار العين إلى اعلا الماء واحدة فوق الاخرى مثل اليراع ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا فى قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة وارسلوا فيها نبيهم والقموا فاها حجرة عظيمة ثم اخرجوا الانابيب من الماء وقالوا نرجوا الآن ان ترضى عنا آلهتنا إذا رأت انا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت تراب كبيرها يلتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان فبقوا يومهم يسمعون انين نبيهم وهو يقول : سيدى قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعفي وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي حتى مات فقال الله تعالى لجبرئيل ياجبرئيل ايظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي ، وامنوا مكري ، وعبدوا غيري ، وقتلوا رسولي ، ان يقوموا لغضبي ، ويخرجوا من سلطاني ، كيف وانا المنتقم ممن عصاني ، ولم يخش عقابي ، واني حلفت بعزتي لاجعلهم عبرة ونكالا للعالمين ، فلم يدعهم وهم فى عيدهم ذلك إلا بريح عاصفة شديدة الحمرة فتحيروا فيها ، وذعروا منها ، وتضام بعضهم الى بعض ، ثم صارت الارض من تحتهم حجر كبريت تتوقد واظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم كالقير جمراً يلتهب فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص ، فنعوذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

سليمان وبلقيس

(وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين *) .

ان سليمان بن داود عليه السلام كما ذكر الله تعالى آتاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فسخر له الجن والأنس والطير وجميع ماخلق الله وسخر له الريح تجري بامره (والشياطين كل بناء وغواص) وكانت الطيور تظله عن الشمس كل في مركزه وعلى نوبته وان الهدهد لما أخل بمركزه ونزلت الشمس على سليمان من موضعه رفع رأسه وقال مالي لا أرى الهدهد الآية فارسل خلفه من يطلبه فجيء به فلما مثل بين يديه (فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) وذكر له خبر الملكة بلقيس وما هي فيه من الملك والعقيدة فكتب سليمان كتاباً ، نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم : أن تعلوا وآتوني مسلمين) ودفعه الى الهدهد وقال (اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم) استترعنهم قريباً منهم (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يردون من الجواب فمضى الهدهد بالكتاب فاتاها وهي مستلقية فالقاه على صدرها فقرأته وقامت من فورها وجمعت الاشراف من قومها لتأخذ رأيهم فلما أخبرتهم (قالوا نحن أولو اقوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) بالصلح أو القتال فعرضت في جوابهم بترك القتال مذكرة لهم ما

يؤل اليه أمره ﴿ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ اهلكوا أهلها وخربوها ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ ورأت أن تصانع سليمان جريا على عادة الملوك حتى يتبين لها انه ملك أو نبي فجهزت هدية ثمينة عظيمة جاء في وصفها انها تشتمل على خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وخمسمائة لبنة من الذهب وخمسمائة لبنة من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وحقا فيه درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين الوصفيف والوصائف واخبر بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه فان نظر اليك نظرة غضب فلا يهولنك أمره فانا أعز منه وان نظر اليك نظر لطف فاعلم انه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا وسبقه الهدهد مسرعا واخبر سليمان فامر الجن ان يضربوا لبنات الذهب والفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب ولبنات الفضة وان يجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد على سريره الذي لم يصنع مثله لاحد من الملوك بداية ونهاية ووضع له اربعة آلاف كرسي على يمينه ومثلها على يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس والجن فاصطفوا فراسخ وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ

عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من هدايا الذهب والفضة فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر اليهم نظراً حسناً بوجه طلق وقال ماورائكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ابن الحقة فأتاه بها فحركها وجاءه جبرئيل وأخبره بما فيها قائلا إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فأرسل سليمان إلى الارضة فجائت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها وخرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء أنا يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط فدخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر وكانت الجوار الخمسمائة المرسلة في الهدية قد لبسن لباس الغلمان ولبس الغلمان لباس الجوار وطلبت بلقيس أن يميز بينهم فأمر الجميع بغسل وجوههن وأيديهن فكان الغلام يصب الماء على ظهر ساعد اليد والجارية على باطنه وبذلك ميز بين الجميع .

ثم قال سليمان للرسول ﴿ أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ ارجع اليهم بما جئت به من الهدايا ﴿ فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ فرجع الرسول فأخبرها بما رأى فحق لديها انه نبي وانها لا تقاومه فتجهزت للمسير اليه طائعة وأخبر جبرئيل سليمان انها خرجت من اليمن مقبلة اليه فقال سليمان لاماثل جنده وأشراف عسكره ﴿ يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ وخص عرشها بالذكر ليجعل ما هو عين مملكتها دليلا

ومعجزة على صدقه ونبوته لانها خلفته في دارها وأوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه ﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ من مجلسك الذي تقضي فيه وكان سليمان يجلس للقضاء غدوة إلى نصف النهار فقال سليمان اريد أسرع من ذلك فعند ذلك قال الذى عنده علم من الكتاب ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ فقال له سليمان افعل فسأل الله تعالى في ذلك بالاسم الاعظم فحضر العرش فرآه سليمان مستقراً عنده ﴿ فلما رآه مستقراً عنده ﴾ موضوعا بين يديه فى مقدار رجع البصر ﴿ قال هذا من فضل ربي ﴾ ثم قال ﴿ نكروا لها عرشها ﴾ غيروا لها سريرها على حالة تنكرها إذا رأته « لننظر أتهدي أم تكون من الذين لايهتدون » أي أنستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الايمان والتوحيد أم لا فغير ما كان منه أحمر فجعل أخضر وبالعكس وازدادوا فيه وأنقصوا منه ﴿ فلما جائت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ﴾ فقيل لها فانه عرشك فما أغناك اغلاق الابواب وكانت خلفته وراء سبعة أبواب ولقد دل جوابها على كمال عقلها فانها ان قالت هو خشيت الكذب لما رأت فيه ما تنكره وما لا تعرفه أولا والاتيان به من وراء هذه الابواب وهذه السرعة ما لا يدخل تحت قدرة البشر ثانيا وان قالت لا ليس هو خشيت الكذب أيضاً فانها وجدته عين عرشها اذ وجدت فيه ماتعرفه منه .

« قيل لها ادخلي الصرح » وهو البناء المنبسط كالسطح المنكشف من غير سقف عمله سليمان ممردا من قوارير مجوفاً وأجرى تحته الماء المملوء

بالحيتان والضفادع ودواب البحر ليختبر عقلها وما قالته فيها فانهم أساءوا القول فيها مخافة أن يتزوجها فلا ينفكون تسخير سليمان وذريته لأن أمها جنية ﴿ فلما رأته حسبته لجة ﴾ بحرا (وكشفت عن ساقيها) فقال (لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير) وليس بماء ولما رأت سرير سليمان والصرح قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فحسن اسلامها

وفي الحديث عن الامام الهادي عليه السلام انه أجاب عن سؤال أكان سليمان محتاجا إلى علم آصف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب أم ان سليمان لم يعجز عن معرفة ماعرفه آصف لكنه « ع » أحب أن تعرف أمته من الانس والجن انه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان اودعه آصف بامر الله تعالى ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في امامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود لتعرف امامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق

قارون

﴿ ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ﴾ .

كان قارون ابن عم موسى لما لأنه ابن يصهر بن قاهث وموسى ابن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور ولم يكن في بني اسرائيل اقرء منه

التوراة وكان معدوداً من اماثلهم ولكنه بغى وطغى لما استغنى فانه اصاب كنزاً من كنوز يوسف ، وقيل انه كان يعمل الكيمياء وعلى كل فقد بلغت أمواله ماحكاه الله تعالى عنها بقوله تعالى ﴿ وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة﴾ والعصبة الجماعة يتعصب بعضهم لبعض واقل ما قيل فيها من الثلاثة إلى العشرة فنهاه قومه من بني اسرائيل عن بغيه وبطره واشره بقولهم (لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) فلم يعبأ بهم وبمواعظهم (فخرج على قومه في زينته) التي يتزين بها وحشمه وتبعه في أربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان وقيل في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف ارجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب او في سبعين الفاً عليهم المعصفرات على رواية ثالثة فتمنى الكفار والمنافقون وضعيفوا الايمان بما وعد الله تعالى منزلته وقالوا (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) ونهاهم المؤمنون المصدقون بوعد الله تعالى قائلين لهم ﴿ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ﴾ .

فما مضت الليال والأيام القليلة إلا وأولئك الذين تمنوا منزلته وأمواله يحمدون الله على العافية مما أوتي وذلك حين خسف الله به وبداره الأرض وسبب ذلك ان قارون لم يكفه ماهو فيه من التيه والكبر والبطر بما أنعم الله عليه حتى تعرض لكليمه موسى بن عمران وجائت الرواية هكذا عن السدي قال دعا قارون امرأة من بني اسرائيل بغياً قال لها اني أعطيك الفين على أن تجيء غداً اذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي

يا بني اسرائيل مالي ولموسى قد آذاني قالت نعم فاعطاها خربطتين عليها خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت وقالت يا ويلتى قد عملت كل فاحشة فما بقى إلا أن أفترى على نبي الله فلما أصبحت أقبلت ومعها الخربطتان حتى قامت بين بني إسرائيل فقالت ان قارون قد اعطاني هاتين الخربطتين على أن آتي جماعتكم فازعم ان موسى يراودني عن نفسي ومعاذ الله أن أفتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو اسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله تعالى فاوحى الله اليه اني أمرت الأرض أن تطيعك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فاخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال خذيه فاخذته حتى غيب قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم أخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده الرحم ثم أخذته حتى غيبته .

فاوحى الله اليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فابيت أن تغيثه لو اياي دعا واستغاثني لأغثته .

فقال بنو اسرائيل إنما فعل ذلك موسى «ع» ليرث أمواله لانه ابن عمه فخسف الله بداره وبجميع أمواله الارض وبرأه مما قالوا .

لقمان الحكيم

(ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني عن العالمين *) :

كان لقمان الحكيم عبداً مملوكاً فعتق وكان متصفاً باوصاف كان أثرها أن آتاه الله الحكمة وأصبح سيداً بعد أن كان مسوداً وقد المنا بكثير من حياته وما جاء عنه من المواعظ والحكم في كتاب مستقل سميناه باسمه وقد طبع قبل عامين .

فمن تلك الاوصاف الموجبة له تلك المنزلة العالية انه عليه السلام كان كثير الصمت إلا في خير ولا يعرف منه غير الهدوء والوقار والسكينة وكان قوياً في أمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم متورعا في الله مستكيناً إلى جنبه عميق النظر طويل الفكر مستعبراً بالعبر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد من الناس على بول أو غائط أو اغتسال لشدة ستره وعمق نظره وتحفظه في أمره ولم يضحك من شيء مخافة الاثم ولم يغضب قط ولم يفرح بشيء ان أتاه من أمر الدنيا ولم يحزن على شيء فاته منها ولم يبك على شيء ذهب من يده من الدنيا قط حتى على موت أولاده بل كان كثير البكاء من خشية الله ولم ير برجلين يتخاصمان إلا أصلح بينهما ولم يفارقهما حتى يتحابا ويتوادا وكذا لو مر برجلين يقتتلان لم يمض عنهما حتى يتحاجزا ولم يسمع من أحد

قولا استحسنه إلا سأله عنه وعن تفسيره وعمن أخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرني القضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله عز وجل وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ويعتبر ويتعلم مايغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز به من الشيطان وكان يداوي قلبه بالفكر ويداوي نفسه بالعبر وكان لايتكلم إلا فيما يعنيه فبذلك أوتى الحكمة ومنح العصمة حيث أمر الله سبحانه وتعالى طوائف من الملائكة أن تناديه وتوحي اليه ان الله تبارك وتعالى اختاره خليفة في الارض يحكم بين الناس بالحق وقد كان ذلك عند انتصاف النهار ووقت القائلة لما هدأت العيون ونامت الابصار حيث كان الوقت صائفاً وكان مما ناداه به حيث يسمع ولا يرى : (يالقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس) فكان الجواب منه ان خيرني ربي قبلت العافية وان أمرني الله عزوجل وعزم عليّ فالسمع والطاعة لانه ان فعل ذلك بي اعانني عليه وعصمني وعلمني فقالت له الملائكة لم قلت ذلك قال لأن الحكم بين الناس باشد المنازل من الدنيا واكثر فتنا وبلاء لما يخذل ولا يعان ويغشاه الظلم من كل مكان فصاحبه فيه بين امرين ان أصاب فيه الحق فبالحري أن يسلم وان أخطأ ، أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا وضيعا كان أهون عليه في المعاد أن يكون سريا شريفا ومن اختار الدنيا على الآخرة خسرهما كلتيهما تزول هذه ولا تدرك تلك فتعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه .

فلما أمسى المساء وأخذ لقمان مضجعه من الليل انزل الله تعالى عليه

الحكمة وغشاه بها من قرنه الى قدمه وهو نائم وغطي بالحكمة غطاه استيقظ منه فلما استيقظ من نومته وإذا هو أحكم الناس وخرج عليهم ينطق بالحكمة فكل من سمع كلامه اثبتها فيه فاشتهر أمره وشاع ذكره فكان الطبيب المداوي للقلوب والأب الروحاني لكل من اتصل به وعمت افاداته كثيراً من الناس فكان الهداة من أهل زمانه يأتون اليه فيستفيدون منه ويأنسون بمنطقه ويستريحون بحديثه فيكثرون من أجل ذلك مجالسته ، ولا بدع فانه المحي للقلوب .

قيل له ذات يوم ألست عبداً لآل فلان قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى فقال صدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالا يعني وغضي بصري وكفي ولساني وعفتي في بطني وطعمتي فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن زاد عليه فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي .

— ٥٦ —

الرجاء الفاشل

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع مايوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ .

نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور السلمي فانهم قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة أحد بأمان

رسول الله صلى الله عليه وآله ليكلموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يامحمد ارفع ذكر آلهتنا اللات والعزى وقل أن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي (ص) فقال بعض أصحابه أ أذن لنا يارسول الله في قتلهم فقال اني أعطيتهم الأمان وأمر باخراجهم من المدينة فاخرجوا ونزلت الآية : ولا تطع الكافرين من أهل مكة ابا سفيان وأبا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن أبي وابن سعد وطعمة .

ومن أحد الفريقين أبو معمر الفهري كان لبيباً حافظاً لما يسمع ، وكان يقول ان فى جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين ، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم أبو معمر وتلقاه أبو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده إحدى نعليه والاخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ماحال الناس قال انهزموا قال فما بال أحد نعليك فى يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ماشعرت إلا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده .

— ٥٧ —

غزوة الخندق

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جائتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً إذ جاؤكم

من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) .

ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من اصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق ان نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن اخطب في جماعة من بني النضير الذين أجلاهم رسول الله (ص) خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم عليهم حتى نستاصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) .

فسر قريشاً ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه فاجمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان فدعوهم الى حرب رسول الله (ص) واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشاً قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن رجيلة الاشجعي فيمن تابعه من أشجع وكتبوا إلى حلفائهم من أسد فاقبل طليحة في من اتبعه من اسد وهم حلفاء غطفان وكتبت قريش إلى رجال من بني سليم فاقبل أبو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش فلما علم بذلك رسول الله (ص) ضرب الخندق على

المدينة وكان الذي أشار عليه بذلك سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله (ص) وهو يومئذ حر قال يارسول الله انا كنا بفارس إذ حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله والمسلمون حتى احكموه.

فما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله خط الخندق في عام الاحزاب اربعين ذراعا بين عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقالت الانصار سلمان منا وقالت المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله (ص). سلمان منا اهل البيت.

قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله واخبره عن الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يأمرنا فيها بأمره فانا لانحب ان نجاوز خطه فرقى سلمان حتى اتى رسول الله «ص» وهو مضروب عليه قبة فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى مايحك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق واخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب الثالثة فلمعت برقة اخرى فقال سلمان بابي انت وامي يارسول الله

ما هذا الذي ارى فقال اما الاولى فان الله عز وجل فتح عليّ بها اليمن ، واما الثانية فان الله تعالى فتح عليّ بها الشام والمغرب ، واما الثالثة فان الله تعالى فتح عليّ بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعد صادق

وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفر الخندق حتى وارى التراب بياض بطنه فهو يعمل ويقول :

لاهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الاذلاء قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا

ويمسه الجوع حتى يربط على بطنه حجر المجاعة ، وقد روي كذلك مراراً ، فمنها ماروي عن جابر انه رآه كذلك فجاء إلى اهله فقال رأيت الحجر على بطن رسول الله (ص) واظنه جائعاً فلو اصلحنا هذا الشعير وهذه الشاة ودعونا رسول الله الينا كان لنا قربة عند الله تعالى قالت فاذهب فاعلمه فان اذن فعلناه فذهبت اليه وقلت يا رسول الله ان رأيت ان نجعل غدائك اليوم عندنا قال وما عندك قلت صاع من شعير وشاة قال افأصير اليك مع من احب او انا وحدي فكرهت ان اقول انت وحدك قلت بل مع من تحب وظننته يريد علياً بذلك فرجعت الى اهلي وقلت اصلحي انت الشعير وانا اصلح الشاة فلما فرغنا من ذلك جعلنا الشاة كلها قطعاً في قدر واحد وماءً وملحاً وخبزت اهلي ذلك الدقيق فصرت اليه وقلت يا رسول الله قد اصلحنا ذلك فوقف على شفير الخندق وناذى باعلا صوته : يا معشر المسلمين اجيبوا دعوة جابر فخرج جميع المهاجرين والانصار وخرج النبي

والناس خلفه ولم يكن بمر بملأ من المدينة إلا قال اجيبوا دعوة جابر فاسرعت إلى اهلي وقلت قد اتانا رسول الله بما لا قبل لنا به وعرفتها خبر المجاعة فقالت ألست قد عرفته ما عندنا قلت بلى فقالت لا عليك رسول الله اعلم بما يفعل فكانت اهلي افقه مني فأمر رسول الله (ص) الناس بالجلوس خارج الدار ودخل هو وعلي فنظر إلى التنور والخبز فيه وكشف القدر ونظر فيها ثم قال للمرأة اقلعي من التنور رغيفاً رغيفاً وناوليني واحداً بعد واحد فجعلت تقلع وتناوله وهو وعلي يثردان في الجفنة ثم تعود المرأة إلى التنور فتجد مكان الرغيف الذي قلعته مثله فلما امتلأت الجفنة بالثريد غرف عليها من القدر وقال ياجابر هات الذراع فاتيته به ثم ادخل عليّ عشرة من الناس فدخلوا وأكلوا وشبعوا ثم قال ياجابر هات الذراع فاتيته به وقال ادخل عليّ عشرة من الناس فدخلوا وأكلوا وشبعوا والثريد بحاله ثم قال هات الذراع فاتيته به وقال ادخل عليّ عشرة من الناس فدخلوا واكلوا وشبعوا والثريد بحاله ثم قال هات الذراع فقلت يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟ قال ذراعان قلت قد أنبتك بثلاثة فقال لو سكت لأكل الناس كلهم من الذراع فلم يزل يدخل عشرة عشرة ويخرج عشرة عشرة حتى اكل الناس جميعاً ثم قال تعالى حتى نأكل نحن وانت فاكلنا وشبعنا والخبز في التنور لم يتغير واللحم في القدر لم ينقص منه شيء.

ولما فرغ رسول الله (ص) من حفر الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا

إلى جانب أحـــد وخرج رسول الله (ص) في ثلاثة آلاف من المسلمين وجعل جبل سلع إلى خلفه وضرب هناك معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف فأقام رسول الله (ص) وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل وان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبدالله تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا ان هذه والله لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم يمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش يعد بالف فارس وكان يسمى فارس بليل لأنه اقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا ببليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من ان يصلوا اليه فعرف بذلك وانه لما حفر الخندق يوم الأحزاب كان ينادي من يبارز فقام علي عليه السلام وهو مقنع بالحديد فقال انا له يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو إلا

رجل وهو يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها ؟ فقام اليه علي «ع» وقال انا له يا رسول الله ثم نادى عمرو الثالثة وقال :

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع ... موقف البطل المناجز
أن السماحة والشجا ... عة في الفتى خير الغرائز

فقام علي عليه السلام وقال يارسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان عمراً فاستأذن رسول الله (ص) فاذن له والبسه درعه ذات الفضول وأعطاه سيفه ذا الفقار وعممه عمامته السحاب ثم قال له تقدم فلما ولى قال صلى الله عليه وآله اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه فمشى اليه صلوات الله عليه وهو يقول

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيـــة وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
إني لارجو ان اقيم ... عليك نائحـــة الجنائز
من ضربة بخلاء يبقى ... صيتهـا حتى الهزاهز

فقال له عمرو من انت قال انا علي قال ابن عبد مناف فقال انا علي ابن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن اخي من اعمامك من هو اسن منك فاني اكره ان اهريق دمك فقال علي عليه السلام لكني والله ما اكره ان اهريق دمك فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم اقبل نحو علي مغضباً فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها واثبت السيف في رأسه (ع) فشجه وضربه علي عليه السلام

على حبل العاتق فسقط واقعاً على قفاه وثارت بينهما عجاجة وسمع على يكبر فقال رسول الله (ص) قتله والذي نفسي بيده فابتدر بعض الأصحاب العجاج فاذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو فكر راجعاً وقال يا رسول الله قتل علي عمراً وحز علي رأس عمرو واقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمرو بن الخطاب هلا استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت من ابن عمي ان استلبه .

فقال النبي (ص) ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا دخله عز بقتل عمرو وخرج اصحاب عمرو منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى في جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلي اجل من هذه ينزل إلي احدكم أقاتله فطعنه علي (ع) في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في الخندق فبعث المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وآله يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي «ص» هو لكم لا نأكل ثمن الموتى وقال علي «ع» أبياتاً في شأنه مع عمرو منها :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
فضربته وتركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المقصر بزني اثوابي

وانصرف النبي مع المسلمين من الخندق وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب امير المؤمنين «ع» .

بني قريظة

﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وفريقاً تأسرون ﴾ .

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللامة تبدى له جبرئيل وقال عذيرك من محارب إلا أراك قد وضعت عنك اللامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله (ص) فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة فلبس الناس السلاح وبعث علي بن ابي طالب عليه السلام على المقدم ودفع اليه الراية وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله على آثارهم فمر على مجلس الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله (ص) فقال: هل مر بكم الفارس آنفاً؟ فقالوا مر بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله (ص) ليس ذلك بدحية ولكنه جبرئيل ارسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب ، وسار علي حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله وجاه صلى الله عليه وآله حتى دنا من حصونهم فقال : يا إخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا وحاصرهم رسول الله (ص) خمساً وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف

الله في قلوبهم الرعب وكان حي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت اليه قريش وغطفان فلما أيقنوا ان رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يامعشر اليهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا ما هن قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم واموالكم ونسائكم فقالوا لانفارق حكم التوراة أبداً ولانستبدل به غيره قال فاذا ابيتم عن هذا فهلموا فلنقتل أبنائنا ونسائنا، ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك ورائنا ثقلا بهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك ولم نترك ورائنا نسلا يهمنا وان نظهر لنجدن النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فلاخير في العيش بعدهم قال فاذا ابيتم عن هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا نفسد سبتنا ونحدث ما احدث من كان قبلنا فاصابهم ماقد علمت من المسخ فقال مابات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما.

ولما اشتد بهم البلاء لطول الحصار قالوا يا محمد حكم فينا رجلا من اصحابك فقال لهم رسول الله (ص) اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله (ص) فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فامر رسول الله بسلاحهم فجعل في قبة وأمر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله (ص) الى سعد بن معاذ وكان مريضاً فجيء به فحكم فيهم بان يقتل مقاتليهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم

وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال للانصار انكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله (ص) وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل فقتل رسول الله مقاتليهم وكانوا اربعمائة وخمسون رجلا وسبى سبعمائة وخمسين وقالو لكعب الآنف الذكر وهم يذهب بهم إلى رسول الله ارسالا ما ترى ياكعب يصنع بنا فقال اوفى كل موطن تقولون ألا ترون ان الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وانى بحيي بن اخطب عدو الله عليه حلة فاختية مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله (ص) قال اما والله ما لمت نفسى على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال : أيها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ثم قسم رسول الله (ص) نساءهم وابنائهم واموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلا وسلاحا فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله إلى خيمته التي ضربت له في المسجد وانه حين توفي نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له ابواب السماء وتحرك له العرش فخرج رسول الله فاذا سعد بن معاذ قد قبض فمشى في تشييعه وصلى عليه ونزل في قبره فلما صلى عليه قال لقد وافى من الملائكة سبعون الف ملك وفيهم جبرئيل يصلون عليه فقلت يا جبرئيل بم استحق صلاتكم عليه فقال بقرائته « قل هو الله احد » قاعداً وقائماً وماشياً وراكباً وجائياً وذاهباً .

النبي وأزواجه

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجراً عظيما ﴾ .

قال المفسرون ان ازواج النبي ﴿ص﴾ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله صلى الله عليه وآله منهن شهراً فصعد إلى غرفة له فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغذى ويتعشى فيها نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى : ﴿ قل لأزواجك ﴾ وكن يومئذ تسعاً : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت ابي أمية ، فهؤلاء من قريش وصفية بنت حي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الاسدية . وجويرية بنت الحارث المصطلقية .

الكساء

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾

قال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع وعائشة وأم سلمة ان الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والقصة في ذلك ما رواه الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتها فاتته فاطمة ﴿ ع ﴾ ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنتك فجاءت بهم فطعموا فالقى عليهم كساء خيبريا ودخل معهم ثم اخرج يده فاومى بها إلى السماء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فادخلت رأسي في البيت وقلت انا معكم يا رسول الله قال انك إلى خير انك الى خير فانزل الله تعالى عليه آية التطهير مقيدة باداة الحصر كما ترى .

وروى الطريحي النجفي : حديث الكساء في منتخبه بصورة مطولة مشتملة على كثير من الفضائل لأهل البيت ﴿ ع ﴾ يجمل ذكره في كل محفل من محافل محبيهم حيث هو من الصحة بمكان ، ومن الطريف ان هناك قوم ينكرونه ليس لهم حجة الا صرف الاستبعاد وهو عناد للرشاد .

— — —

زينب بنت جحش

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ .

نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي (ص) فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله على مولاه زيد بن حارثة ورأت انه يخطبها على نفسه فلما علمت انه يخطبها على زيد أبت وانكرت وقالت انا ابنة عمتك فلم اكن لأفعل وكذلك قال اخوها عبد الله بن جحش فنزل: وما كان لمؤمن يعني عبدالله بن جحش ولا مؤمنة يعني اخته زينب ، فلما نزلت الآية قالت رضيت يا رسول الله وجعلت امرها بيد رسول الله (ص) وكذلك اخوها فانكحها رسول الله زيداً فدخل بها وساق اليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما مهراً وخماراً وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعا من تمر .

وشاء الله تعالى ان يطلقها زيد لمشاجرة وقعت بينهما ادت إلى ذلك فان زيداً جاء إلى رسول الله (ص) وقال له اريد أن اطلق زينب فقال له النبي (ص) ﴿امسك عليك زوجك﴾ ولا تطلقها ﴿واتق الله﴾ في مفارقتها ومضارتها وكان النبي (ص) قد أضمر ان يتزوجها ان طلقها زيد مخافة عليها من الضيعة كما هو شأن ذوي المروة مع اقاربهم وارحامهم فاخبر الله سبحانه

الناس بما كان يضمره من ايثار ضمها الى نفسه .

فلما وقع طلاقها وانقضت عدتها نزل قول الله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ فجاء رسول الله (ص) فدخل بها بالعقد الالهي واولم وليمة ما أولمها لامرأة من نسائه فقد اطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وانه (ص) لما تزوج زينب قال اناس ان محمداً تزوج أمرأة ابنه فنزل قوله تعالى ﴿ وما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ الذين لم يفهم وفي هذا بيان انه (ص) ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فان تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب ولم تكن بنوة زيد للنبي بنوة نسبية بل ادعائية جرياً على قاعدة العرب فانهم ينزلون الادعياء منزلة الأبناء في الحكم فاراد صلى الله عليه وآله ان يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية ، فكانت زينب بعد أن تزوجها رسول الله (ص) تفتخر على نسائه وتقول زوجني الله من النبي وانتن انما زوجكن اولياؤكن ولم تكن زينب الوحيدة في ذلك فقد سبقتها حوى فان الله تعالى هو الذي زوجها من آدم ولحقتها فاطمة الزهراء عليها السلام فان الله تعالى زوجها من أمير المؤمنين عليه السلام في السماء قبل أن يزوجها ابوها منه في الارض .

بناء بيت المقدس

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ .

المحاريب بيوت الشريعة او القصور والمساجد يتعبد فيها وكان مما عملوه ببيت المقدس.

وسبب بنائه هو ان الله عز وجل سلط على بني اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فامرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والاهلين ويتضرعوا إلى الله لعل الله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود فوق صخرة فيه فخر ساجداً يبتهل الى الله تعالى وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما ان شفع الله داود فى بنى اسرائيل جمعهم بعد ثلاث وقال لهم ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود ينقل له الحجارة على عاتقه وكذلك خيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة وداود يومئذ مائة وسبع وعشرون سنة فاوحى الله الى داود ان تمام بنائه على يدي سليمان فلما صار داود ابن مائة وأربعون سنة توفاه الله واستخلف ابنه سليمان فأحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم

الاعمال وخص كل طائفة منهم بعمل فجاؤا بالرخام والمها الابيض الصافي من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والاحجار من اماكنها وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة يأتون بالدر من البحر فأتى بشيء من ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى ثم احضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاحجار حتى صيررها الواحا ومعالجة تلك الجواهر والثالي فجعلوها كيفما يريد ، وبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر وفصص سقوفه وحيطانه بالثالى واليواقيت والجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد وكان ينير في الليلة المظلمة كالقمر ليلة البدر ولما فرغ من بنائه تغلقت ابوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات ابي داود إلا فتحت الابواب ففتحت فجمع احبار بني اسرائيل فأعلمهم ان الله تبارك وتعالى هو الذي بناه واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً وفرغ له عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتي ساعة من ليل او نهار إلا ويعبد الله فيها .

فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني اسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه

من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر فحملها الى دار مملكته من أرض العراق .

ومن التماثيل التي كانوا يعملونها له ما صوروا له من السباع والبهائم على كرسيه ليكون اهيب له فانهم صوروا له اسدين اسفل كرسيه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الاسدان ذراعيهما واذا علا على الكرسي نشر النسران اجنحتهما فظللاه من الشمس مما لا يكاد يعرفه احد من الأولين والآخرين .

فلما دنى أجله لم يفده ما أوتى من القدرة شيء وكان كغيره من سائر المخلوقين فسبحان من تفرد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء .

سبأ وسيل العرم

﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . . ﴾ الآية

المراد بسبأ : هاهنا القبيلة الذين هم أولاد سبأ ابن يشجب بن يعرب ابن قحطان كانت ديارهم على وتيره واحدة تحفها البساتين عن يمينها وشمالها متصل بعضها ببعض وكان من كثرة النعم ان المرأة تمشي وعلى رأسها المكتل فيمتلىء بالفواكه من غير ان تمسها (فاعرضوا) عن الحق ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله بغياً وعتواً ففير الله ما بهم (فارسلنا عليهم سيل العرم)

وذلك ان الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فاذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذبوا رسلهم وتركوا أمر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك الردم ففاض الماء فاغرقهم .

وذكر الدميري في مادة الجرذ من كتابه حياة الحيوان ان اول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدي وكان سيدهم وكان قد رأى في المنام كأنه انشق عليه الردم فسال الوادي فاصبح مكروبا فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بانياب من حديد فانصرف إلى أهله فاخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا فلما رجعوا قال هل رأيتم ما رأيت قالوا نعم قال فان هذا الأمر ليس لنا إلى ذهابه من سبيل وقد اضمحلت الحيلة فيه لان الامر من الله وقد اذن الله بالهلاك ثم انه عمد إلى هرة فاخذها وأتى إلى الجرذ فصار يحفر ولا يكترث بالهرة فولت الهرة هاربة فقال عمرو لاولاده احتالوا لانفسكم فقالوا يا ابة كيف نحتال فقال اني محتال لكم بحيلة قالوا افعل فدعا اصغر بنيه وقال له اذا جلست في المجلس واجتمع الناس على العادة وكان الناس يجتمعون اليه وينتهون إلى رأيه فاني امرك بامر فتغافل عنه فاذا شتمتك فقم إلي والطمني ثم قال لاولاده فاذا فعل ذلك فلاتنكروا عليه ولا يتكلم أحد منكم فاذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحد منهم أن ينكر عليه ولا يتكلم فاحلف انا يميناً لا كفارة ان لا أقيم بين أظهر قوم قام إلي اصغر بني فلطمني فلم يغيروا ، قالوا نفعل ذلك فلما جلس واجتمع الناس اليه امر ابنه الصغير ببعض امره فلما عنه فشتمه

فقام اليه ابنه فلطم وجهه فتعجب الجماعة من جرأة ابنه عليه وظنوا ان اولاده يغيرون عليه فنكسوا رؤسهم فلما لم يغير احد منهم قام الشيخ وقال أيلطمني ولدي وأنتم سكوت ثم حلف يميناً لا كفارة لها أن يتحول عنهم ولا يقيم بين اظهر قوم لم يغيروا عليه فقام القوم يعتذرون اليه وقالوا ما كنا نظن ان اولادك لا يغيرون فذاك الذي منعنا فقال قد سبق مني ما ترون وليس إلى غير التحول من سبيل ثم انه عرض ضياعه للبيع وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا يسيرا حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعد ما هدأت العيون اذا هم بالسيل فاحتمل انعامهم وأموالهم وضرب ديارهم وما مثل ذلك من الظالمين ببعيد وكم رؤي الفيضان في كثير من البلدان بما كسبت ايديهم .

— ٦٤ —

في انطاكية

﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون * ﴾ .

قالوا : بعث عيسى بامر الله تعالى رسولين من الحواريين إلى مدينة إنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب فسلما عليه فقال الشيخ لهما : من انتما ؟ قالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية : قالا نعم نحن نشفي المريض

ونبرء الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحاً وفشى الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيراً من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام فأنهي الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا نحن رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من او جدك وآلهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فلما خرجا اخذهما الناس في السوق وضربوهما وانهما قبل اتصالهما بالملك وقد طالت مدة اقامتهما في بلدة رأياه خارجا ذات يوم فكبرا وذكرا الله سبحانه فغضب الملك وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مأة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا وحبسا بعث عيسى شمعون الصفار رأس الحواريين على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به واكرمه فقال له شمعون ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما ؟ فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما إلى هنا قالا الله الذي خلق كل شيء لاشريك له فقال لهما وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا

مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولآلهك شرفاً فقال الملك ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين ان قدر إلهكما على احياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال ان لي ولداً قد مات منذ سبعة ايام فجاؤا إلى قبره فجعلا يدعوان الله تعالى علانية وشمعون يدعو سراً فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه ويقول لهم اني قـــد مت منذ سبعة أيام وادخلت في سبعة اودية من النار وانا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك ، فلما علم شمعون ان قوله أثر في الملك دعاه الى الله فآمن وآمن من اهل مملكته قوم وكفر آخرون .

ثم قال الملك لولده يا بني ما حالك ؟ قال كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحييني ، فقال يابني أفتعرفهما إذا رأيتهما ؟ قال نعم فأمر ان يخرج الناس الى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر احدهما بعد جميع كثير فقال هذا أحدهما ثم مر الآخر فقال هذا الآخر فعرفهما وأشار بيده اليهما .

وقيل : بل أزداد الملك كفراً وأجمع هو وقومه على قتل الرسل ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ .

الذبيح

﴿ فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ .

حج الخليل ابراهيم مع ابنه اسماعيل حتى بلغ معه السعي وعزم على انفاذ أمر ربه استشاره في ذلك فاجابه بما حكاه الله عنه من الاجابة والرضا والتسليم فقال له : يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا أبة اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح من دمي شيء فتراه امي واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد فقال له ابراهيم : نعم العون أنت يابني على أمر الله ، ففعل به ذلك وأضجعه على جنبه وانه في ذلك إذ أقبل شيخ فقال ابراهيم ما تريد من هذا الغلام ؟ قال: اريد أن أذبحه فقال : سبحان الله تريد أن تذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين قط ؟ قال : ان الله أمرني بذلك ، قال: ربك ينهاك عن ذلك وانما أمرك بهذا الشيطان فقال ابراهيم لا والله ثم رفع رأسه إلى السماء وانحنى عليه بالمدية فهبط جبرئيل فقلب المدية فاعادها ابراهيم فقلبها جبرئيل على قفاها واجتر الكبش من قبل ثبير واجتر

الغلام من نحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف : ﴿ يا ابراهيم صدقت الرؤيا باسماعيل انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهوا البلاء المبين ﴾ .

وجاء ابليس إلى هاجر فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي قال فغلام رأيته معه قالت ذاك ولدي قال فاني رأيته وقد اضجعه ووضع المدية على حلقه يريد أن يذبحه قالت كذبت ابراهيم أرحم الناس فكيف يذبح ابنه قال : فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد أمر في ابنها فاسرعت في الوادي راجعة إلى منى حتى رأت ولدها فجعلت تنظره فرأت أثراً في حلقه من خدش السكين ففزعت واشتكت ووقعت مريضة .

— ٦٦ —

النبي وثقيف

﴿ ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ .

عن الزهري قال : لما توفى أبوطالب «ع» أشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وآله فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يأووه فوجد ثلاثة نفر من ساداتهم وهم اخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو فعرض عليهم

نفسه فقال احدهم انا أسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز الله أن يرسل غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك بعد مجلسك هذا أبداً فلئن كنت رسولا كما تقول فانت اعظم خطراً من أن يرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك بعد واستهزؤا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة حتى أدموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان دماً الى حائط من حيطانهم واستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دماً فاذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما رأياه أرسلا اليه غلاماً لهما يدعى عداس وهو نصراني من أهل نينوى فلما جائه قال له رسول الله من اي أرض انت؟ قال : من نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله والله تعالى اخبرني خبر يونس بن متى فلما اخبره بما اوحى الله اليه من شأن يونس خر عداس ساجداً لله ولرسوله وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة مايصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك باحد منا قال هذا رجل صالح اخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالا لا يفتنك عن نصرانيتك فانه رجل خداع فرجع رسول الله إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين من

اليمين فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وقد أحسنوا مالا يحسنه الانس فان رسول الله (ص) قرء سورة الرحمن عليهم فسكتوا ولم يقولوا شيئاً فقال رسول الله الجن كانوا احسن جوابا منكم فاني لما قرأت عليهم ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب.

الحديبية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويهديك صراطاً مستقيما ﴾.

روى الزهري وعروة بن الزبير والمسور بن مخرمة قالوا : خرج رسول الله (ص) من الحديبية في بضع عشرة مائه من اصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة قدى رسول الله الهدية واشعره وأحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله حتى إذا كان بغدير الاشطاط قريباً من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال اني تركت كعب ابن لوي وعامر بن لوى قد جمعوا لك الأحابيش وجمعوا جموعاً وهم قاتلوك أو مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال (ص) روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (ص) ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين وسار حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال : ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة

يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم اياها ثم زحرها فوثبت به فعدل سائراً حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما يتربصه الناس تربصاً فشكوا اليه العطش فنزع لهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل ابن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وهم عيبة نصح رسول الله من تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي ومعهم العوذ المطافيل (١) وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال له رسول الله (ص) إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وأن قريشاً قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وان أبوا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي (٢) ولينفذن الله تعالى أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشاً فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وانه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي (ص) فقال له النبي نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الأخرى فو الله اني لأرى وجوهاً وأرى اوشاباً من الناس خلقاء ان يفروا

---

(١) العوذ المطافيل : الحديثات النتاج من الابل والمطافيل ذات الولد من الانس والوحش .

(٢) السالفة : صفحة العنق كناية عن الموت .

ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا فقيل أبو بكر فقيل أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي (ص) وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي (ص) ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله قبل أن لا ترجع اليك فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ولست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي (ص) اما الاسلام فقبلناه واما المال فانه مال غـــدر لا حاجة لنا فيه ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي (ص) إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذ توضأ ثاروا يقتتلون على بقية وضوئه واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون فيه النظر تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملـــكا قد يعظمه أصحابه ما يعظم اصحابه محمداً إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على بقية وضوئه فاذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحـدون النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آته قالوا ٠أته فلما أشرف عليهم قال رسول الله لأصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبون فقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فجاء الى اصحابه فأخبرهم فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ٠أته

فلما أشرف عليهم قال النبي (ص) هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال النبي قد سهل عليكم أمركم فقال اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله (ص) علي بن ابي طالب «ع» فقال له اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فو الله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لا نكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي (ص) اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي اني لرسول الله وان كذبتموني ثم قال لعلي امح رسول الله فقال علي يا رسول الله ان يدي لاتنطلق بمحو اسمك من النبوة فاخذه رسول الله فمحاه وقال ان لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا اومعتمرا اوبيغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفوفة (١) ولا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل فيه ومن أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

«١» عيبة مكفوفة : أي عهد وثيق صادر عن صدر نقي من الخداع والمكر والحيلة والاغتيال والسرقة والخيانة المعبر عنها بالاسلال والاغلال

فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله «ص» على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك إلا رددته الينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلماً فقال رسول الله من جاءهم منا فابعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجا فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فاذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثاً ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى ان هذا الهدي حيثما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق وانتم تردون فبينما كذلك إذ جاء ابو جندل يرسف في قيوده حتى خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما اقاضيك عليه أن ترده فقال النبي انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله اذا لا أصالحكم على شيء أبداً فقال النبي فاجره لي فقال ما انا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه فقال ابو جندل معاشر المسلمين أ أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديداً فقال بعض اصحابه والله ما شككت منذ اسلمت إلا يومئذ فاتيت النبي فقلت الست نبي الله قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعط الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست

اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف حقاً قال بلى افأخبرتك انك تأتيه هذا العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به.

ثم ان رسول الله «ص» نحر بدنة ودعا بحالق فحلق شعره ثم رجع الى المدينة فجائه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا في طلبه رجلين فقالا العهد الذى جعلت لنا فدفع الرجل اليهما فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهما فقال ابو بصير لأحد الرجلين اني لأرى سيفك هذا جيد جداً فاستله وقال اجل انه لجيد وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله حين رآه لقد رأى هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء ابو بصير فقال يا رسول الله قد اوفى الله ذمتك وردتني اليهم فانجاني الله منهم فقال النبي ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وانفلت منهم ابوجندل بن سهيل الآنف الذكر فلحق بابي بصير فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة فوالله لايسمعون بعير لقريش قد خرجت الى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبي (ص) تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فارسل اليهم فاتوه.

فذلك الشرط الذي اشترطته قريش على النبي (ص) من ان من جائهم من اصحابه لا يردونه اليه ومن جائه من اصحابهم مسلماً برده اليهم هو الذي انتج هذه النتيجه وشكل هذا الحزب بقيادة ابي بصير فوقف في

وجوه قريش وقطع عليهم السبل حتى تنازلوا عنه من قبل انفسهم مستغيثين بالنبي (ص)، فاكسبهم جميلا بموافقته فاين يقع ذلك الاعتراض الذي سمعته من بعض اصحابه ولكنه صلى الله عليه وآله مني بقوم لا يكادون يفقهون قولا وكم لهذا الرجل من مثل هذه الاعتراضات الشاذة .

خيبر

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما * ﴾ .

الفتح القريب فتح خيبر والمغانم الكثيرة غنائمها فأنها مشهورة ، وقصتها مروية بروايات عديدة حاصلها ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجع من الحديبية الى المدينة مكث بها عشر بن ليلة ثم خرج غازيا خيبر فلما اشرف عليها دعا الله تعالى بعد أن أوقف الناس قائلا : اللهم رب السماوات السبع وما اظللن ورب الأرضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر مافيها ، اقدموا بسم الله فساروا ليلا يحدوهم عامر بن الاكوع ويقول :

لاهم لو لا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتفينا وثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا انا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله (ص) من هذا السائق فقالوا عامر قال يرحمه الله فلما تقابل الفريقان برز عامر فقتله مرحب اليهودي وكان عين مقاتلته اليهود وقد ضاق المسلمون به ذرعا وقد رجعت راية رسول الله (ص) مكسورة مرتين مع رجلين من اصحابه بالتعاقب كل فرد منها رجع يجبن أصحابه ويجبنونه فقال النبي صلى الله عليه وآله لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون بجملتهم أيهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجون أن يعطوها فقال أين علي بن ابي طالب ؟ فقالوا يارسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فمسح النبي من ريقه على عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع ودعا له وأعطاه الراية فقال علي عليه السلام يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فو الله لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم فبرز وخلفه الناس حتى اتى المشركين فدعاهم إلى الاسلام وعرفهم ما يجب عليهم فلم يسمعوا وآل الأمر الى القتال ، فبرز مرحب رئيس المقاتلة وهو يقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلتهب

فاجاب أمير المؤمنين عليه السلام يقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

ولم يزد معه حتى امكنته الفرصة منه فضربه على رأسه ففلقه وخرج اليه أهل الحصن فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه فتناول علي باب الحصن فاقتلعه وتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه فجعل الباب جسراً صعد المسلمون عليه فاقتحموا الحصن وغيره من الحصون هناك وان ذلك الباب حركه أربعون رجلا فلم يستطيعوا حمله ولم يزل رسول الله «ص» يفتح الحصون حصناً حصناً ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصني « الوطيح والسلالم » وكانا آخر حصون خيبر وكان هذا الفتح العظيم على يد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بعد حصار بضع عشرة ليلة .

وأتى رسول الله « ص » من حصن القموص بصفية بنت حي بن أخطب زوجة كنانة بن الربيع التي رأت في منامها ليلة بنائها به كأن قمراً وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال لها ماهذا إلا انك تتمنين ملك الحجاز محمداً ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها سلمها علي عليه السلام مع امرأة اخرى إلى بلال ليأتي بهما الى رسول الله (ص) فجاء بهما بلال ماراً بهما على قتلى المشركين فلما رأت تلك المرأة قتلاها صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله (ص) قال اعزبوا

عني هـــذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها ردائه فعرف المسلمون انه قد اصطفاها لنفسه وقال لبلال معاتباً : أنزعت منك الرحـــة يا بلال ثم بامرأتين على قتلى رجالهما .

وصالح رسول الله (ص) أهل خيبر على النصف من أموالهم العقارية على ان الفسخ بيده متى شاء أخرجهم .

وأرسل أهـل فدك اليه (ص) يطلبون منه ان يصالحهم كما صالح أهـل خيبر ففعل فكانت خيبر فيئاً للمسلمين لأنها ممـا وجف عليها بخيل وركاب بخلاف فدك فانها خالصة لرسول الله (ص) لأنهم لم يوجفوا عليهـا بخيل ولا ركاب وقد انحلها رسول الله ابنته فاطمة (ع) فكانت تستغلها في حياته فهي في ملكها وتحت تصرفها حتى توفى ابوها .

وفد تميم

﴿ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾ .

وفد تميم وهم : عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم : الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وقيس ابن عاصم في وفد عظيم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله (ص) من

وراء الحجرات ان اخرج الينا يا محمد فاذى رسول الله ذلك فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد أذنت فقام عطارد ابن حاجب وقال الحمد لله الذى جعلنا ملوكا الذي له الفضل علينا والقدي وهب لنا أموالا عظاما نفعل بها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق واكثر عدداً وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لاكثرنا من الكلام ولكنا نستحي من الاكثار ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لثابت بن قيس بن شماس قم فاجبه فقام وقال : الحمد لله الذي السماوات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط إلا من فضله ان جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا اكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل الله عليهم كتاباً وأئتمه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الايمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم وجوهاً وكان اول الخلق اجابه واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن فنحن أنصار رسول الله وراؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه في الله ابداً وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد فاجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الاقرع ان هذا الرجل خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من اصواتنا فلما فرغوا أجازهم رسول الله واحسن جوائزهم وما برحوا حتى اسلموا .

الاقتراء

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جائكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

نزلت في رجل كاذب جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فقال ان مارية أم ابراهيم يأتيها ابن عم لها قبطي فدعا رسول الله علياً عليه السلام وقال يا أخي خذ هذا السيف فان وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله اكون في امرك إذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال (ص) بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب

قال علي عليه السلام فاقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف اني اريده أتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا هو اجب امسح ماله مما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فاخبرت النبي صلى الله عليه وآله فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت .

من النواهي

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم ﴾ .

كان رجل من الصحابة يدعى بثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي (ص) حتى يسمع ما يقول فدخل يوما والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا أماكنهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له اصبت مجلساً فاجلس فجلس خلفه مغضباً فلما انجلت الظلمة قال من هذا ؟ قال الرجل انا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذاكراً ما كان له يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء .

وان أم سلمة ربطت حقويها بثوب وسدلت طرفه خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب وعيرتها بالقصر واشارت بيدها انها قصيرة .

وان سلمان رافق رجلين فبعثاه إلى رسول الله (ص) ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى اسامة بن زيد وكان خازن رسول الله على رحله فقال : ما عندي شيء فعاد سلمان لصاحبيه فاخبرهما فقالا بخل اسامة وقالا لسلمان : لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها وطفقا يغتبانه ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر به رسول الله لهما أم لا فقال لهما رسول الله (ص) ما لي أرى خضرة اللحم في افواهكما فقالا يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظلمتما تأكلان لحم سلمان واسامة .

وخرج عمر بن الخطاب ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتبينت لهما نار فأتيا وأستأذنا ففتح الباب فدخلا فاذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح ؟ قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين به قالت أقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وارقني الا حبيب الاعبه

فو الله لو لا خشية الله والتقى ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

ولكن عقلي والحياء يكفني ... وأكرم بعلي ان تنال مراكبه

فلما هم عمر بالانصراف قال له الرجل ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى (ولا تجسسوا) فقال عمر صدقت وانصرف . وهذه الابيات تناسب امرأة قد غاب زوجها ولكنه ليس ببعيد ان يكون قد حضر بعد غيابه فجعلت تحدثه بحالها أيام غيبته وانها لهيامها به وحزنها لفراقه لا تأخذ عينها النوم فتسهر لذلك وتقول تطاول الخ .

القمر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر * وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ .

قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله (ص) فقالوا إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله إن فعلت تؤمنون قالوا نعم وكان ليلة بدر فسأل رسول الله ربه ان يعطيه ذلك مما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان اشهد يا فلان اشهد وقال والذى نفسي بيده لقد رأيت حرا بين فلقتي القمر .

وهذه القصة من مناقب نبينا محمد «ص» واضحة الدلالة في الرد على من قال باحالة مثلها لما يراه من احالة الخرق والالتئام بالنسبة إلى الأجرام السماوية فاحال المعراج الجسماني لذلك وقد فاته ان الله تبارك وتعالى اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فيعطي لنبيه (ص) ما هو فوق ذلك وإنما تكون المعجزة معجزة اذا كانت من الخارقات الخارجة عن مقدور البشر لو سلمنا له ذلك وعليه فالمعاصرون للنبي (ص) قالوا سحر ولم يعترفوا له بشيء والمتأخرون عن عصره قالوا باحالة ذلك وقد يقولون بنبوته فالحجة بهم ألزم ممن تقدمهم .

الأنبياء وأممهم

﴿ وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن ابكاراً عربا اترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ .

عن أبي مسعود : قال اصبحنا ذات يوم فغدونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عرضت علي الانبياء الليلة باتباعها من أممها فكان النبي تجيء معه الثلة من امته والنبي معه العصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل من امته والنبي ليس معه من امته احد حتى إذا اتى اخي موسى في كبكبة من بني اسرائيل فاعجبوني فقلت اي رب من هؤلاء فقال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني اسرائيل فقلت رب فاين امتي قال انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت من هؤلاء فقال امتك قلت رب رضيت ثم قال انظر عن يسارك فنظرت فاذا الافق قد انسد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قال امتك قلت رب رضيت قال ان مع هؤلاء سبعين الفاً من امتك يدخلون الجنة بغير حساب فعند ذلك قام عكاشة بن محصن من بني اسد من خزيمة فقال يانبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال النبي اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال

نبي الله فداكم ابي وأمي ان استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الأفق واني رأيت ثم أناساً كثيراً يتهارشون كثيراً فقلت هؤلاء السبعون الفاً ، فاتفق رأينا على انهم أناس ولدوا في الاسلام فلم يزالوا يعملون به حتى مانوا عليه فانهي حديثهم إلى رسول الله (ص) فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لأرجو أن يكون من تبعني ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لأرجو أن يكونوا شطر اهل الجنة ثم تلا رسول الله ﴿ ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ﴾ .

— ٧٤ —

الظهار

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * قد سمع الله قول من تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ﴾ .

نزلت هذه الآية وما بعدها إلى خمس آيات في امرأة من الانصار يقال لها خولة بنت خويلد وزوجها اوس بن الصامت وذلك انها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت ارادها فابت عليه فغضب عليها وكان امرأ فيه سرعة ولمم فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار من طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما اظنك

إلا وقد حرمت علي فقالت لا تقل ذلك وآت رسول الله «ص» فاسأله فقال اني أجد اني أستحي منه أن أسأله عن هذا قالت فدعني اسأله فقال سليه فاتت النبي (ص) وعائشة تغسل رأسه فقالت يارسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات مال واهل حتى أذا اكل مالي وأفنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه فتنعشني به فقال ما اراك إلا وقـــد حرمت عليه فقالت : يارسول الله والذي انزل عليك الكتاب ماذكر طلاقاً وانه ابو ولدي واحب الناس إلي فقال ما اراك إلا حرمت عليه ولم اؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله (ص) واذا قال رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت : اشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم انك تعلم حالي فارحمني فان لي صبية صغاراً ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم إلي جاعوا فانزل على لسان نبيك وكان هـذا أول ظهار وقع في الاسلام فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا رسول الله فقالت عائشة : اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله وكان إذا نزل عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فجائت اليه تركض وقالت قم الى رسول الله فلما جاء وجلس تلا عليه رسول الله «ص» ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ﴾ الآيات فقالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات ثم قال له رسول الله «ص» بعد ان تلا عليه الآيات هل تستطيع أن تعتق رقبة قال اذاً يذهب مالي كله والرقبه غالية واني قليل المال فقال له فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين فقال والله يا رسول الله اني إذا

لم آكل في كل يوم ثلاث مرات كل بصري وخشيت ان تغشى عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال لا والله إلا ان تعينني على ذلك يارسول الله فقال اني معينك بخمسة عشر صاعا وانا داع لك بالبركة فاعانه رسول الله بخمسة عشر صاعا ودعا لهما بالبركة فاجتمع لهما امرهما .

★★★

مجلس رسول الله ومناجاته

﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير * يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ .

قال المفسرون : كان اصحاب رسول الله (ص) يتنافسون في مجلسه فاذا رأوا من جائهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر الله تعالى ان يسفح بعضهم لبعض حيث ان رسول الله كان في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء أناس من اهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سُبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي وقالوا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على

النبي فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر ، قم يافلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين الستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء. ان قوماً اخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فاقامهم واجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية طبق عمل الرسول صلى الله عليه وآله فانه لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى .

وان الأغنياء من أصحابه كانوا يكثرون مناجاته ومسارأته حتى نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ فظن الكثير من الناس بذلك خوف العيلة على ما فيها من المنافع لهم فكفوا عن المسارة والمناجاة ، فلم يناجيه أحد إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلم يزل الحال كذلك حتى نزلت الرخصة بقوله تعالى ﴿ فان لم تجدوا ﴾ ما تتصدقون به ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ .

قال ابن عمر : كان لعلي بن ابي طالب (ع) ثلاث ما كانت لي واحدة منهن لكانت احب الي من حمر النعم : تزويجه فاطمة ، واعطائه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى .

بنو النضير

﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار ﴾ .

ذكر المفسرون : ان النبي (ص) لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لايقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل منهم فلما غزا رسول الله بدراً وظهر على المشركين قالوا انه والله النبي الذى وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا غزاة احد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب ابن الاشرف في اربعين راكباً من اليهود الى مكة فاتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد (ص) ثم دخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب فى اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الكعبة واستارها ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه إلى المدينة ونزل جبرئيل فاخبر النبي (ص) بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف .

قال محمد بن اسحاق خرج رسول الله «ص» إلى بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين من بني عامر الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى وكان بين

بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي (ص) يستعينهم في الدية قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما احببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه وكان رسول الله جالساً الى جانب جدار من بيوتهم فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة ورسول الله في نفر من اصحابه فاتاه الخبر من السماء بما ارادَ القوم فقام وقال لاصحابه لا تبرحوا فخرج راجعاً إلى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا إلى المدينة فاقبل أصحاب النبي حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر .

وأمر رسول الله (ص) محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الاشرف ، فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحارث وخرج النبي على اثرهم وجلس في موضع ينتظر رجوعهم فذهب محمد بن مسلمة مع القوم الى اقرب قصره واجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من انت قال انا محمد بن مسلمة اخوك جئتك استقرض منك دراهم فان محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال لا اقرض إلا بالرهن قال معي رهن انزل فخذه وكان له أمرأة بني بها تلك الليلة عروساً فقالت لا ادعك تنزل لاني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت اليها وخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا عن القصر الى الصحراء ثم أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا فرجع القوم سالمين إلى رسول الله (ص) فلما اسفر الصبح

أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بقتل كعب ففرحوا ، وأمر رسول الله (ص) بحربهم والسير اليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فامر رسول الله بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا يامحمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فانزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها ﴾ .

قال ابن عباس : حاصرهم النبي صلى الله عليه وآله حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على أن يحقن دمائهم وأن يخرجهم من ارضهم واوطانهم وان يسيرهم الى اذرعات من الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء فخرجوا الى اذرعات بالشام واربحا إلا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة بعد ان خربوا بيوتهم بايديهم كانوا ينقضونها من داخل ليهربوا ولئلا ينتفع بها المسلمون والمسلمون ينقضونها من الخارج ليتطلوا بهم .

وقيل ان التخريب من اليهود بنقضهم العهد ومن المؤمنين بالمقاتلة .

— ٧٧ —

عابد بني اسرائيل

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ﴾ .

عن ابن عباس قال انه كان عابد في بني إسرائيل يقال له برصيصا

عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده وانه أوتى بامرأة في شرف وبيت رفعة قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى احد اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى اخاه فيقول والله لقد اتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر علي ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فاقر لهم بالذي فعل فامر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا الذي القيتك في هذا فهل انت مطيعي فيما اقول لك اخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة فقال اكتفي منك بالايماء فاومى له بالسجود فكفر بالله وقتل ، نسأل الله حسن الختام .

حاطب بن ابى بلتعة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم • يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جائكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ﴾ .

نزلت في حاطب بن ابى بلتعه وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن

صفي بن هاشم أتت رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال رسول الله « ص » امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنت الاصل والعشيرة والموالي وقد ذهب موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال فاين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة فقالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث رسول الله «ص» عليها بني عبد المطلب فكسوها واعطوها نفقة وحملوها وكان رسول الله يتجهز لفتح مكة فاتاها حاطب ابن ابي بلتعة وكتب معها كتابا إلى أهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب ابن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرئيل فاخبر النبي بما فعل حاطب فبعث رسول الله «ص» علياً في نفر من الصحابة وكانوا كلهم فرساناً وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله «ص» فقالوا لها أين الكتاب فحلفت ما معها شيء من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي « ع » والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال لها اخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوابتها قد خبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فارسل الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله والله ما كفرت منذ

أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت وحيداً فيهم غريباً وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله « ص » وعذره وأراد بعض الصحابة ان يقتله فنهاه رسول الله وما احرى حاطباً أن يخاطبه بقول بعضهم :

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

— ٧٩ —

الجمعة

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

ذكروا ان الانصار بالمدينة اجتمعوا قبل قدوم النبي (ص) عليهم فقالوا ان لليهود يوماً يجتمعون فيه وللنصارى يوماً يجتمعون فيه فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عزوجل ونشكره فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوا يومكم يوم العروبة فاجتمعوا إلى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم ووعظهم فسموه يوم الجمعة وان اسعداً حين اجتمعوا اليه ذبح لهم شاة فتغذوا وتعشوا منها ، وذلك لقلتهم ، فهذه اول جمعة جمعت في الاسلام .

وأما أول جمعة جمعها رسول الله (ص) باصحابه فقيل انه قدم رسول الله (ص) مهاجراً الى المدينة حتى نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذوا ذلك الموضع مسجداً لهم وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعها رسول الله (ص) في الاسلام فخطب في هذه الجمعة وهي اول خطبة خطبها في المدينة فيما قيل فقال :

(الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه وأومن به ولا اكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وأنقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً .

اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصي به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله فاحذروا ماحذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من امر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الناس من امره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلاوجه الله يكن في عاجل امره وذخر فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امداً

بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا أعدائه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولاقوة إلا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فانه من يصلح مابينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله اكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

والجمعة كالعيدين يجبان بحضور الامام او نائبه الخاص عند الأكثر وقيل بوجوبها مطلقاً والله العالم ، وكانت صلاة الجمعة على عهد بني أمية غير مقيدة بوقت فقد تصلى في غير وقتها كما اتفق لهم انهم صلوا يوم الاربعاء استهتاراً بالدين وتلاعباً بشريعة سيد المرسلين .

تعارض الدنيا والآخرة

﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو والتجارة والله خير الرازقين ﴾ .

روى المفسرون قالوا : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر او غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ورسول الله «ص» قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال رسول الله «ص» لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء فأنزل الله تعالى هذه الآية تعييراً لهم وتوبيخاً لفعلهم حيث انهم تركوا رسول الله وما يصلحهم في آخرتهم وذهبوا إلى الدنيا ترجيحاً لها على الآخرة .

المنافقون

﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

هذه الآية وما قبلها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك ان رسول الله (ص) بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابي ضرار ابو جويرية زوج النبي (ص) فلما سمع بهم رسول الله خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له ﴿المريسيع﴾ من ناحية قديد الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله (ص) ابنائهم ونسائهم واموالهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير من بني غفار يقال له : جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف الخزرجي على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيراً فقال عبدالله بن ابي لجعال انك لمتاك فقال وما يمنعني ان افعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله والذي يحلف به لازرنك ويهمك غير هذا وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم حديث السن فقال ابن ابي قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا

ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله « ص » ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموه اموالكم أما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا أن يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد ﷺ فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا فقال له اسكت انما كنت العب فمشى زيد بن ارقم إلى رسول الله (ص) وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر فامر رسول الله بالرحيل وارسل إلى عبد الله فاتاه فقال له ما هذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط وان زيداً لكاذب وقال من حضر من الانصار يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه بكلام غلام من غلمان الانصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره رسول الله وفشت الملامة من الانصار لزيد ولما استقل رسول الله فسار لقيه أسيد بن الحضير فحياه بتحية النبوة ثم قال يارسول الله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله (ص) او ما بلغك ماقال صاحبكم زعم انه ان رجع إلى المدينة اخرج الأعز منها الاذل فقال أسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فو الله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له

الخزرج ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن ابي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله فقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل ابي فان كنت لابد فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به رجلا غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي ان يمشي في الناس فاقتله فاكون قد قتلت مؤمنا بكافر فادخل النار فقال له النبي ﴿ ص ﴾ بل ترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله بالناس يومهم ذاك حتى امسى وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم فتخوفوها وضلت ناقة رسول الله ﴿ ص ﴾ وذلك ليلا فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة فقال من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته إلا بخبره الذي يأتيه بالوحي فاتاه جبرئيل فاخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبر رسول الله ﷺ بذلك اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلم ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فذهبوا اليها فاذا هي كما قال فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك اليوم قال

زيد بن ارقم فلما وافى رسول الله (ص) المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن ابي فاخذ رسول الله باذن زيد وقال يا غلام صدق فوك وسمعت اذناك ووعى قلبك وقد انزل الله تعالى فيما قلت قرآنا وكان عبد الله بن ابي يقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة قال مالك ويلك قال والله لا تدخلها إلا باذن من رسول الله (ص) ولتعلمن اليوم من الاعز ومن الاذل فشكى عبد الله ابنه إلى رسول الله (ص) فأرسل اليه ان خل عنه يدخل فقال أما اذا أمر رسول الله فنعم فدخل فلم يلبث إلا اياماً قلائل حتى اشتكى ومات .

وبان كذب عبد الله هذا انه قيل له نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان أومن فقد آمنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي إلا أن اسجد لمحمد ، فنزل فيه ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ﴾ .

زوجات النبي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ﴾ .

ذكر المفسرون أن رسول الله (ص) كان إذ صلى الغدات يدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت اذا دخل عليها رسول الله (ص) حبسته وسقته منها وان عائشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبشية عندها اذا دخل رسول الله على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع ففعلت الجارية واخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة وارسلت الى صواحبها فاخبرتهن وقالت اذا دخل عليكن رسول الله فقلن انا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول الله (ص) يكره ويشق عليه ان يوجد منه ريح غير طيبة لانه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله (ص) على سودة قالت فما اردت ان اقول ذلك لرسول الله ثم اني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجد منك اكلت المغافير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك فدخل على عائشة فاخذت بانفها فقال لها ما شأنك فقالت أجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله قال لا ولكن حفصة سقتني عسلا فقالت اذا نحلها العرفط فقال والله لا اطعمها ابداً فحرمه على نفسه .

وذكروا لذلك سبباً آخر وذلك ان رسول الله (ص) قسم الايام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الى ابي حاجة فاذن لي أن أزوره فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله الى جاريته مارية القبطية وكان قد اهداها اليه المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله (ص)

ووجهه يقطر عرقاً فقالت حفصة انما اذنت لي من اجل هذا دخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقاً فقال اليس هي جاريتي قد احل الله ذلك لي اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن وهو عندك امانه فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة وقالت ألا ابشرك ان رسول الله قد حرم عليه أمته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواجه فاعتزل النبي نسائه تسعاً وعشرين يوماً وقعد في مشربة ام ابراهيم مارية قد نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ﴾ إلى آخر الآية فكفر رسول الله (ص) عن يمينه بعتق رقبة وعاد الى مارية .

سائل العذاب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج ﴾ .

حدث الحاكم ابو القاسم الحسكاني عن الثقات مرفوعا الى الامام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد وتسامع به الناس فكان حديثهم فقدم على النبي (ص) النعمان بن

الحرث الفهري فقال امرتنا عن الله ان نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله فقال النبي (ص) والله الذي لا إله إلا هو هذا أمر من عند الله فولى النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء يقول هذا وهو خارج من المسجد قاصداً ناقته وقد عقلها ببابه فما بلغها حتى رماه الله بحجر على رأسه خرج من دبره فقتله وانزل الله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ .

— ٨٤ —

الوليد بن المغيرة المخزومي

﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيدا * كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا * انه فكر وقدر . . . ﴾ الآيات .

هو الوليد بن المغيرة المخزومي المعروف بريحانة قريش ، وكان وحيدا أي ابن زنا جعل الله له من المال الممدود مالا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف من البساتين والنقود المؤلفة والابل المؤبلة والخيل المسومة والنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلتها والجواري والعبيد والعين الكثيرة وكان له ثلاثة عشر ولداً لا يغيبون عنه لغنائهم عن ركوب السفر للتجارة

وسهل له التصرف فى الامور تسهيلا فبدلا من أن يقابل هذه النعم بالشكر قابلها بالكفر والالحاد ونسب إلى نبي الله ماشدد به الوطأة عليه من قريش.

وذلك ان قريشاً اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد انكم ذووا احساب وذووا احلام وان العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا أمركم على شيء واحد ما تقولون في هذا الرجل قالوا نقول انه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول انه كاهن قال اذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول انه لمجنون قال اذا تأتونه فلا تجدونه مجنوناً قالوا نقول انه ساحر قال وما الساحر قالوا بشر يحببون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لايلقى احـــد منهم النبي إلا قال يا ساحر يا ساحر واشتد عليه ذلك.

ويروى ان النبي (ص) لما انزل عليه ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ قام إلى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال الله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال لهم ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فجلس إلى جنب الوليد حزيناً فقال له الوليد مالى اراك يا ابن اخى حزيناً قال هذه

قريش يعيبونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد فقام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال اتزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يخلط في كلام قط ؟ فقالوا اللهم لا قال اتزعمون انه كاهن فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك قالوا اللهم لا قال اتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا اللهم لا وكان صلى الله عليه وآله يسمى الصادق الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش فوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر عبس وبسر فقال ما هو إلا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر ومايقوله سحر يؤثر وبقيت هذه النعرة في قلوب جماعة من الذين اسلموا ربما ظهرت على فلتات ألسنتهم في كثير من المقامات كما تقدمت قصتهم وقصة امثالهم من المنافقين .

النذر

﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما واسيرا * انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا ﴾ .

روى الخاص والعام : ان الآيات من هذه السورة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة .

عن ابن عباس ومجاهد وابي صالح قالوا : مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله ووجوه العرب من اصحابه وقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً ، فنذر صوم ثلاثة أيام ان شفاهما الله سبحانه وتعالى ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك وكذلك فضة فبرئا وليس عندهم شيء فاستقرض علي « ع » ثلاثة اصوع من شعير من يهودي وجاء به الى فاطمة « ع » فطحنت صاعا منها فاخبزته وصلى علي المغرب وقربته اليهم فاهموا ان يأكلوا اذ طرق بابهم مسكين يسألهم ويدعوهم فاعطوه ذلك كله ولم يذوقوا منه شيئاً وباتوا جياعا لم يذوقوا سوى الماء وأصبحوا صياماً فلما كان اليوم الثاني اخذت فاطمة صاعا آخر فطحنته وخبزته وصلى عليّ المغرب وأقبل فقدمت فاطمة ذلك فاهموا أن يأكلوا واذا يتيم يطرق بابهم ويستطعمهم فاعطوه طعامهم كله ولم يذوقوا إلا الماء فباتوا جياعا واصبحوا صياماً فلما كان اليوم الثالث عمدت فاطمة إلى الباقي فطحنته وخبزته فلما اقبل عليّ بعد صلاة المغرب قدمت اليه ذلك فاهموا أن يأكلوا واذا بأسير يطرق عليهم الباب مستطعما فاعطوه طعامهم ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم أتى علي « ع » ومعه الحسن والحسين إلى النبي « ص » وبهما ضعف فبكى رسول الله ودعا لهم فرزقهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا طعاماً من الجنة ونزل جبرئيل بسورة هل اتى .

وسائل هل اتى مدح بحق علي فقلت اي هل اتى مدح بحق علي وهم عليهم السلام لا زالوا مصداقاً لقوله تعالى (ويؤثرون على

انفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

★ ★ ★

— ٨٦ —

صنف أهل المحشر

(يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجاً وفتحت السماء فكانت ابواباً وسيرت الجبال فكانت سراباً) .

في الحديث عن البراء بن عازب قال : كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله (ص) في منزل ابي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى (يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا) الآيات فقال : يا معاذ سألت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه بالدموع وقال : يحشر عشرة اصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله من المسلمين و بدل صورهم بعضهم على صورة القردة و بعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكوسون ارجلهم من فوق ووجوههم من تحت وهم يسحبون عليها و بعضهم عمي يترددون و بعضهم صم بكم لا يعقلون و بعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح من افواههم لعاباً يتقذرهم اهل الجمع و بعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم و بعضهم مصلبون على جذوع من نار و بعضهم اشد نتناً من الجيف و بعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم .

١ ـ فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهم السعاة بالنميمة بين الناس ليلقحوا الفتنة ويثيروا الشر .

٢ ـ واما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت .

٣ ـ واما الذين هم منكوسون على رؤسهم فآكلة الربا .

٤ ـ وأما العمى الذين يترددون فالجائرون في الحكم .

٥ ـ وأما الصم البكم فهم المعجبون باعمالهم .

٦ ـ وأما الذين يمضغون السنتهم فهم العلماء والقضاة الذين خالفت اعمالهم أقوالهم .

٧ ـ وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران .

٨ ـ وأما المصلبون على جذوع من نار فهم السعاة بالناس إلى السلطان .

٩ ـ وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم .

١٠ ـ وأما الذين يُلبسون الجباب فهم أهل الفخر والخيلاء .

ولا ينبئك مثل خبير فان النبي (ص) لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فليتق امرؤ على نفسه .

جبرئيل

(انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) .

أضاف الله تبارك وتعالى القرآن المجيد إلى جبرئيل فانه تعالى قال يا جبرئيل أت محمداً وقل له كذا فالقرآن كلام الله سمعه النبي (ص) من جبرئيل ولم يأت به من قبل نفسه .

ثم وصف تعالى جبرئيل فقال (ذي قوة عند ذي العرش مكين) في الحديث ان رسول الله (ص) قال لجبرئيل : ما احسن ما أثنى عليك ربك (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين) فما كانت قوتك وما كانت امانتك؟ فقال اما قوتي فاني بعثت الى مدائن لوط وهي اربع مدائن في كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن ، واما أمانتي فاني ما أمرت بشيء فعدوته إلى غيره .

وأما طاعة أهل السماوات له فمنها انه لما كان رفيقاً لنبينا محمد (ص) ليلة المعراج أمر رضوان خازن الجنة ان يفتحها ففتحها ودخلها النبي ورأى ما فيها وأمر خازن النار مالكا ان يفتحها ففعل ورأى ما فيها وجبرئيل القوي الأمين الذي هو عند ذي العرش مكين بهذه العظمة وهذه المنزلة الرفيعة لا يدخل بيت النبي إلا مستأذناً حيث أن النبي (ص) ارفع منه قدراً وبيته اعلى مكاناً فتأمل .

أصحاب الأخدود

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * والسماء ذات البروج * واليوم الموعود وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * والنار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * ﴾ .

روى مسلم فى الصحيح عن هدبة بن خالد مرفوعا إلى صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال اني قد حضر اجلي فادفع الي غلاماً اعلمه السحر فدفع اليه غلاماً وكان يختلف اليه و بين الساحر وأهل الغلام راهب فمر الغلام بالراهب فاعجبه كلامه وأمره فكان يطيل عنده القعود فاذا أبطأ عن الساحر ضربه وإذا أبطأ عن اهله ضربوه فشكى ذلك إلى الراهب فقال يا بني إذا استبطأك الساحر فقل حبسني اهلي وإذا استبطأك اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو ذات يوم وإذا بالناس قد غشيتهم دابة عظيمة فظيعة فقال اليوم اعلم أمر الساحر أفضل ام الراهب. فاخذ حجراً وقال اللهم ان كان امر الراهب أحب اليك فاقتل هذه الدابة فرمى به فقتلها ومضى الناس فاخبر بذلك الراهب فقال أي بني انك ستبتلى وإذا ابتليت فلا تدل علي قال فجعل الغلام يداوي الناس فيبرىء الاكمه والابرص فبينما هو كذلك إذ عمى جليس للملك فاتاه وحمل اليه مالا كثيراً فقال اشفني ولك ما ها هنا فقال

انى لا اشفي احداً ولكن الله يشفي فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فآمن فدعا الله تعالى فشفاه فذهب فجلس الى الملك فقال يافلان من شفاك قال ربي قال انا قال لا ربي وربك الله قال او ان لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فاخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث إلى الغلام فقال له لقد بلغ من امرك أن تشفي الاكمه والابرص قال ما اشفي احداً ولكن الله ربي يشفي قال او ان لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فاخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام ارجع عن دينك فابى فارسل معه نفراً وقال اصعدوا به جبل كذا وكذا فان رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه قال فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون وجاء الى الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله فارسل به مرة اخرى وقال انطلقوا به فلججوه في البحر فان رجع وإلا فاغرقوه فانطلقوا به في قرقور وهي سفينة صغيرة طويلة المعروفة في زماننا اليوم بـ . القلص . فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا جميعاً ونجى الغلام فجاء حتى قام بين يدي الملك فقال له ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله تعالى ثم قال له لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به اجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فانك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم اخذ سهما من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل له ارأيت ما كنت تخاف قد نزل والله

بك آمن الناس فامر بالأخدود فخددت على افواه السكك ثم اضرمها ناراً وقال من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فاقحموه فيها ففعلوا يقتحمونها وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت النار مع طفلها .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام كان السبب في ذلك ان ملكهم سكر فوقع على ابنته او اخته فلما أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قال تجمع أهل مملكتك وتخبرهم انك ترى نكاح البنات وتأمرهم ان يحلوه ففعلهم فاخبرهم فأبوا أن يتابعوه فحد لهم اخدوداً في الارض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله وكذلك يفعل الجبارة عند إرادتهم ما يوافق هواهم بقسر العباد بالنار او السيف او بالشنق او بسائر أنواع التعذيب وفي امة محمد صلى الله عليه وآله أمثال ذلك قديماً وحديثاً مما لا يخفى على من تتبع التاريخ مصداقاً لقوله (ص) : سيجرى في أمتي ما جرى في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة .

ورويت هذه القصة بطريق آخر على غير هذا النحو قالوا ان اصحاب الاخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والثالث بفارس حرقوا بالنار اما الذي بالشام فهو انطياخوس الرومي وأما الذي بفارس فهو بخت نصر واما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً وانزل في الذي كان بنجران .

وذلك ان رجلين مسلمين كانا ممن يقرآن الانجيل احدهما بأرض

تهامة والآخر بنجران اليمن آجر احدهما نفسه في عمل يعمله فجعل ذات يوم يقرأ الانجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها ذلك فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره به فلم يزل به حتى اخبره بالدين والاسلام فتابعه مع سبعة وثمانين انساناً من رجل وامرأة بعد مارفع عيسى عليه السلام إلى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فحد لهم في الارض واوقد فيها وعرضهم على الكفر فمن ابى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها وإذا بامرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت فقال ابنها يا أماه ان امامك ناراً لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قُذفا في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون انساناً .

جنة عاد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * والفجر وليال عشر * والشفع والوتر والليل اذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ .

قال وهب بن منبه خرج عبد الله بن قلابة في طلب ابل له شردت فبينما هو في صحاري عدن اذ هو قد وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها

احد يسأل عن ابله فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير اعظم منهما والبابان مرصعان بالياقوت الابيض والأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح احد البابين فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا هو بقصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة يقابل بعضها بعضاً مفروشة كلها باللئالي وبنادق من مسك وزعفران فلما رأى الرجل ما رأى ولم ير فيها أحداً هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فاذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشد بياضاً من الشمس فقال الرجل والذي بعث محمداً بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه المجيد فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها وياقوتها شيئاً وخرج ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وعلم الناس امره فلم يزل ينمو أمره حتى بلغ معاوية خبره فارسل في طلبه فقدم عليه وقص عليه القصة فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم اخبرك بها وبمن بناها انما بناها شداد بن شداد عاد فاما المدينة فارم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال معاوية فحدثني حديثها فقال ان عاد الاولى ليس بعاد قوم هود ولد ذلك وكان عاد له ولدان شداد وشديد فهلك عاد وبقيا وملكا فقهرا العباد وملكا البلاد واخذاها عنوة ثم هلك شديد وبقي شداد فملك وحده

ودانت له ملوك الارض فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنة عتواً على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة (ارم ذات العماد) وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب إلى كل ملك في الدنيا ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان هؤلاء القهارمة اقاموا في بنيانها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصناً وحول الحصن الف قصر ثم سار الملك اليها في جنده ووزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعاً ولم يبق منهم احد وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحاري والرجل عند معاوية فالتفت كعب اليه وقال هذا والله ذلك الرجل .

فما دخلها احد قبله ولا بعده وسيدخلها اهل الدين في آخر الزمان .

المرصاد

﴿ الذين طغوا في البلاد * فاكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمصار ﴾ .

المرصاد هو طريق كل عبد الى الجنة إن عمل صالحاً وإلا فالى النار فقد روي عن ابن عباس في هذه الآية قال ان على جسر جهنم سبع محابس

يسأل العبد عند اولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأله عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فان جاء بها تامة جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء بها تامة جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فان خرج منها وإلا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة .

فكل هذه عراقيل تمنع من دخول الجنة إلا ما شاء الله وقد تهون كلها بفضل الله دون الاخيرة التي لا تعالج إلا باعمال مقابلة فما عسى أن تكون اعمال من خرج من الدنيا شاتما هذا وضاربا وهذا وظالما هذا وغاصبا هذا وباهتا هذا وجارحا هذا ، وفي القرآن من الشواهد على ذلك كثير منها قوله تعالى ﴿ ويحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ﴾ نسأل الله حسن العاقبة .

— ٩١ —

نخلة

﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ .

روى الواحدى بالاسناد المتصل المرفوع ان رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذى عيال وكان الرجل اذا دخل الدار وصعد

النخلة ليأخذ منها التمر وربما سقطت التمرة فاخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخلة فيأخذ التمرة من ايديهم فان وجدها في احدهم ادخل اصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه فشكى ذلك الرجل الى النبي « ص » واخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبي اذهب فلقى رسول الله (ص) صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك الماثلة التي في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل ان لي نخلا كثيراً وما فيه نخلة اعجب إلى من تمرة منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله (ص) اتعطيني ما اعطيت الرجل نخلة في الجنة ان انا اخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقى صاحب النخلة فساومها منه فقال له اشعرت ان محمداً اعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرتها وان لي نخلا كثيراً فما فيه نخلة اعجب الي من تمرتها فقال له اتريد بيعها قال لا ألا ان اعطى ما لا اظنه اعطي قال فامناك قال اربعون نخلة فقال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك الماثلة اربعين نخلة ولكني فداشتريتها بذلك فقال له اشهد لي ان كنت صادقاً فمر الى الناس فدعاهم فاشهد له باربعين نخلة عوضاً عن نخلته الماثلة فلما تم البيع ذهب الى النبي فقال يا رسول الله ان النخلة قد صارت في ملكي فهي لك يارسول الله فذهب رسول الله (ص) إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك ، واسم ذلك الرجل الذي اشتراها ابو الدحداح الموصوف بالذي أعطي واتقى وصدق بالحسنى وصاحب النخلة الموصوف بالذي بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، وكان النبي (ص) يمر بتلك الدار وعذوق النخلة دانية فيقول عذوق وعذوق في الجنة لابي الدحداح ، فاعتبروا يا أولي الابصار .

غزوة ذات السلاسل

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا ﴾ .

ذكروا ان أعرابياً جاء إلى النبي (ص) فجثا بين يديه وقال له : جئتك لانصح لك قال وما نصيحتك ؟ قال قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل واجمعوا على ان يبيتوك بالمدينة ووصفهم له فأمر النبي (ص) أن ينادي بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ﴿ أيها الناس ان هذا عدو الله وعدوكم قد عمل على ان يبيتكم فمن لهم ﴾ فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا نحن نخرج اليهم يا رسول الله فول علينا من شئت فأقرع بينهم فخرجت القرعة على ثمانين رجلا منهم ومن غيرهم فاستدعى عينا من اصحابه وقال له خذ اللوى وامض الى بني سليم فانهم قريب من الحرة فمضى القوم حتى قارب ارضهم وكانت كثيرة الحجارة والشجر وهم ببطن الوادي والمنحدر اليه صعب فلما صار الى الوادي واراد الانحدار خرجوا اليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جماعة فرجع مع بقيتهم فلما قدموا على النبي (ص) عقد اللوى لصاحبه وبعثه اليهم فكمنوا له تحت الحجارة والشجر فلما ذهب ليهبط خرجوا اليه فهزموه فساء رسول الله (ص) ذلك فقال له ابن العاص ابعثني يارسول الله اليهم فان الحرب خدعة فلعلي

اخدعهم فانفذه مع جماعة ووصاه فلما صار الى الوادي خرجوا اليه فهزموه وقتلوا من اصحابه جماعة ومكث رسول اللة (ص) اياماً يدعو عليهم ثم دعا أمير المؤمنين «ع» فعقد له راية ثم قال ارسلته كراراً غير فرار ثم رفع يديه فدعا له ماشاء الله وخرج علي بن ابي طالب وخرج رسول الله للتشييعه وبلغ معه الى مسجد الأحزاب وانفذ معه فيمن انفذ اولئك الثلاثة الذين فروا وانهزموا فسار بهم نحو العراق متنكباً للطريق حتى ظنوا انه يريد بهم غير ذلك الوجه ثم اخذ بهم على محجة غامضة فساربهم حتى استقبل الوادي من فمه وكان يسير الليل ويسكن النهار فلما قرب من الوادي امر اصحابه أن يعكموا الخيل حذراً من صهيلها واوقفهم مكاناً وقال لا تبرحوا فلما رأى عمرو بن العاص ما صنع لم يشك ان الفتح يكون له فقال لصاحبه انا اعلم بهذه البلاد من علي وفيها ماهو اشد علينا من بني سليم وهي الضباع والذئاب فان خرجت علينا خفت ان تقطعنا فكلمه يخل عنا حتى نعل الوادى قال فانطلق فكلمه واطال فلم يجبه أمير المؤمنين حرفاً واحداً فقال عمرو بن العاص للآخر انت أقوى عليه فانطلق فخاطبه فصنع به ما صنع بصاحبه فرجع اليهم فاخبرهم انه لم يجبه فقال ابن العاص انه لا ينبغي أن نضيع انفسنا انطلقوا بنا نعلوا الوادي فقال له المسلمون لا والله ما نفعل امرنا رسول اللة (ص) ان نسمع لعلي ونطيع فنترك امره ونطيع لك ونسمع فلم يزالوا كذلك حتى احس أمير المؤمنين بالفجر فكبس القوم وهم غارون فامكنه الله تعالى منهم وانزل على النبي (ص) والعاديات ضبحاً فالمغيرات صبحا إلى آخرها فبشر النبي اصحابه بالفتح وأمرهم أن يستقبلوا أمير المؤمنين «ع» فاستقبلوه والنبي

صلى الله عليه وآله يقدمهم فقاموا له صفين فلما بصر بالنبي ترجل له عن فرسه فقال له النبي اركب فان الله ورسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً فقال له النبي (ص) ياعلي لولا اني اشفق ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملاء من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك .

أصحاب الفيل

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

أجمعت الرواة على ان ملك اليمن الذى قصد هدم الكعبة هو أبرهة ابن الصباح الاشرم وكنيته أبو يكسوم ، قال الواقدي هو صاحب النجاشي جد النجاشي الذى كان على عهد رسول الله (ص) وقال محمد بن يسار اقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي وحفر بها بئراً يدعى اليوم بئر الملك وبالمدينة اذ ذاك يهود الأوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار فاذا أمسى ارسلوا اليه بالضيافة فاستحيا وأراد صلحهم فخرج اليه رجل من الاوس يقال له احيحة بن جلاح وخرج اليه من اليهود بنيامين القرظي فقال احيحة

أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا تقدر على ان تدخلها ولو جهدت قال ولم قال لأنها منزل نبي من الأنبياء يبعثه الله من قريش قال : ثم خرج يسير حتى كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحاً فقصفت يديه ورجليه وشنجت جسده فأرسل الى من معه من اليهود فقال ويحكم ما هذا الذي اصابني قالوا احدثت نفسك بشيء قال نعم وذكر ما اجمع عليه من هدم البيت واصابة مافيه قالوا ذلك بيت الله الحرام ومن أراده هلك قال ويحكم وما المخرج مما وقعت فيه قالوا تحدث نفسك ان تطوف به وتكسوه وتهدى له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وكسا البيت ونحر بمكة واطعم الناس ثم رجع إلى اليمن فقتله قومه فخرج ابنه الى قيصر واستغاث به فيافعل قومه بأبيه وان قيصر كتب له إلى النجاشي ملك الحبشة فبعث النجاشي معه ستين الفاً واستعمل عليهم روزبه فقاتلوا حمير فقتلة ابيه ودخلوا صنعاء فملكوها وملكوا اليمن وكان في اصحاب روزبه رجل يقال له ابرهة وهو ابو يكسوم قال لروزبه اني أولى بهذا الامر منك ثم قتله وتولى الأمر وارضى النجاشي واستتب له الأمر ثم انه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قباباً من ذهب وأمر اهل مملكته بالحج اليها يضاهي بذلك البيت الحرام وان رجلا من كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر اليها ثم قعد فيها لحاجة الانسان فدخلها ابرهة فوجد تلك العذرة فقال من اجترأ علي بهذا ونصرانيتي لأهدمن ذلك البيت حتى لايحجه حاج أبداً ودعا بالفيل وأذن قومه بالخروج ومن اتبعه من أهل اليمن وكان اكثر من اتبعه منهم عك والاشعريون وخثعم قال ثم

خرج يسير حتى اذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بني سليم ليدعو الناس إلى حج بيته الذي بناه فتلقاه أيضاً رجل من الحمس من بني كنانة فقتله فازداد بذلك حنقاً وحث السير والانطلاق وطلب من أهل الطائف دليلا فبعثوا معه رجلا من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزلوه وهو من مكة على ستة اميال فبعثوا مقدماتهم إلى مكة فخرجت قريش عباديد في رؤس الجبال وقالوا لاطاقة لنا بقتال هؤلاء ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم اقام على سقايته وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار اقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي البيت ويقول :

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم عدوا محالك
لا يدخلوا البلد الحرام إذاً فأمر ما بدا لك

ثم ان مقدمات ابرهة أصابت نعما لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم وكان حاجب أبرهة رجل من الاشعريين له بعبد المطلب معرفة فاستأذن له على الملك وقال له جاءك سيد قريش الذي يطعم انسها في الحي ووحشها في الجبل فقال له ماذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما رآه أبو يكسوم أبرهة اعظمه ان يجلسه تحته وكره أن يجلسه معه على سريره فنزل معه على سريره وجلس على الارض واجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك ؟ قال حاجتي مائتا بعير لي اصابتها مقدمتك فقال ابو يكسوم والله لقد رأيتك

فأجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولم أيها الملك ؟ قال لاني جئت الى بيت عزكم ومنعتكم من العرب وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تعبدون فجئت لأكسره وأصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتني في ابلك ولم تطلب إلي في بيتكم فقال له عبد المطلب : أيها الملك اني اكلمك في مالي ولهذا البيت رب هو يمنعه لست لنا منه في شيء فراع ذلك ابا يكسوم وأمر برد ابل عبد المطلب عليه ثم رجع وامست ليلتهم تلك الليلة كالحة نجومها كانها تكلمهم كلاما لاقترابها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب وخرج دليهم حتى دخل الحرم وتركهم وقام الاشعرون وخثعم فكسروا رماحهم وسيوفهم وبرؤا الى الله تعالى ان يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليلة ثم ادلجوا بسحر فبعثوا فيلهم يريدون ان يصبحوا بمكة فوجهوه الى مكة فربض فضربوه فتمرغ فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم انهم اقبلوا على الفيل وقالوا لك الله ان لا توجهك إلى مكة فانبعث فوجهوه إلى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه حين راوه منطلقا حتى إذا ردوه إلى مكانه الاول ربض فلما رأوا ذلك عادوا الى القسم فلم يزل كذلك يعالجونه حتى اذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران واذا رمت بذلك مضت وطلعت اخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقه ولا عظم إلا اوهاه ونقبه وثاب ابو يكسوم راجعا قد أصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم ارضا انقطع له ارب حتى اذا انتهى إلى اليمن لم يبق شيء منه إلا أباده فلما قدمها تصدع صدره وانشق بطنه

فهلك ولم يصب من الاشعريين وخثعم أحد .

قال : وكان عبد المطلب برنجز داعياً على الحبشة :

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا

ان عدو البيت من عاداكا انهم لم يقهروا قواكا

قال : ولم تصب احداً تلك الحجارة إلا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى منها جاؤا ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق وقال نفيل في ذلك :

ردينة لو رأيت ولن تريه لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله اذ عاينت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا

وقال أمية بن ابي الصلت الذي مات كافراً :

إن آيات ربنا بينات ما يمارى فيهن إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم :

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس

من بعد ما هم بشيء مبلس حبسته في هيئة المكركس

وقال ابن قيس الرقيات :

واستهلت عليهم الطير بالجندل حتى كأنه مرجوم .

وقال الأعشى :

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابابيل من الطير تنعب

وقال امرء القيس :

تراهم الى الداعي سراعاً كأنهم أبابيل طير مدجن نحت داجن

وروى العياشي باسناده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله « ع » قال ارسل الله على اصحابه الفيل طيراً مثل الخطاف ونحوه في منقاره حجر مثل العدسة فكان يحاذي برأس الرجل فيرميه بالحجر فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى أتت عليهم قال فأقبلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة فبينما هو يخبرهم اذ ابصر طيراً فقال هذا منها قال فحاذاه فرماه على رأسه فخرج من دبره .

— ٩٤ —

رحلة الشتاء والصيف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع * وآمنهم من خوف * ﴾ .

وذلك ان قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء ان تهجم عليهم فيه وان يعرض لهم احد بسوء اذا خرجت منها لتجارتها والحرم واد جديب انما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت رحلتان فى كل سنة رحلة فى الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف الى الشام لأنها بلاد

باردة ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف ، فكانوا يعيشون بتجارتهم ورحلتهم قد الفوا ذلك لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته .

وأول من حمل الميرة من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبدمناف يصدقه قول الشاعر :

تحمل هاشم ما ضاق عنه ... واعيا أن يقوم به ابن بيض
أتاهم بالغرائر متألقات ... من أرض الشام بالبر النفيض
فوسع اهل مكة من هشيم ... وشاب البر باللحم الغريض

وقال سعيد بن جبير مر رسول الله (ص) ومعه أبو بكر بملأ وهم ينشدون :

ياذا الذي طلب السماحة والندى ... هلا مررت بآل عبد الدار
لو ان مررت بهم تريد قراهم ... منعوك من جهد ومن اقتار

فقال النبي (ص) لصاحبه اهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بعثك بالحق بل قال :

ياذا الذي طلب السماحة والندى ... هلا مررت بآل عبد مناف
لو أن مررت بهم تريد قراهم ... منعوك من جهد ومن ايجاف
الرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق ... ورجال مكة مسنتين عجاف
سفرين سنها له ولقومه ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

فتح مكة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ﴾ .

لما صالح رسول الله (ص) قريشاً عام الحديبية كان في اشراطهم انه من احب ان يدخل في عهد رسول الله دخل فيه وبالعكس فدخلت خزاعة في عقد رسول الله (ص) ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان بين القبيلتين شر قديم ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً وكان ممن اعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن ابي جهل وسهل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله «ص» المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال : لاهم اني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الاتلدا ان قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا وقاتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله «ص» حسبك ياعمرو ، ثم قام ودخل دار ميمونة

وقال اسكبي لي ماء فجعل يغتسل ويقول : لانصرت ان لم انصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله «ص» فاخبروه بما اصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان (ص) قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة وسيلقى بديل بن ورقاء فلقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى النبي «ص» ليشدد العقد فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل قال سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال ما اتيت محمداً قال لا فلما ذهب بديل إلى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته واخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمداً ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله «ص» فقال يا محمد احقن قومك واجر بين قريش وزدنا في المدة فقال «ص» اغدرتم يا ابا سفيان قال لا قال فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقي ابا بكر فقال اجر بين قريش فقال ويحك واحـــد يجير على رسول الله ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على أم حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت الى الفراش فطوته فقال يا بنيه ارغبة بهذا الفراش عني قالت نعم هذا فراش رسول الله (ص) ما كنت لتجلس وانت رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمة وقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدة فتكونين اكرم سيدة في الناس فقالت جواري جوار رسول الله فقال تأمرين ابنيك ان يجيرا بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي ان يجيرا

بين الناس وما يخبر على رسول الله أحد ثم قال لأمير المؤمنين عليه السلام يا ابا الحسن اني أرى الامور اشتدت علي فانصحني فقال «ع» انك شيخ قريش فقم على باب المسجد واجر بين قريش ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنياً عني شيئاً قال لا والله ما اظن ذلك ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد وقال يا ايها الناس اني قد اجرت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما ان قدم على قريش قالوا ماورائك فاخبرهم بالقصة فقالوا والله ان زاد علي بن ابي طالب ان لعب بك فما يغني عنا ماقلت قال والله ما وجدت غير ذلك .

قال : فأمر رسول الله (ص) بالجهاز الى حرب مكة وأمر الناس بالتهيئة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وكتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش فأتى رسول الله «ص» الخبر من السماء فبعث علياً والزبير واخذا الكتاب من المرأة كما تقدم .

واستخلف رسول الله (ص) ابا رهم الغفاري وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان في عشرة آلاف من المسلمين ونحو من اربعمائة فارس ولم يتخلف عنه من المهاجرين ولا من الانصار أحد وقد كان ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله (ص) بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي فيهما اما ابن عمي فهو الذي هتك عرضي واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال فلما خرج

الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان بني له فقال والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشاً وجوعاً فلما بلغ ذلك رسول الله رق لهما فدخلا عليه فاسلما فلما نزل رسول الله (ص) مر الظهران وقد عمت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم عن رسول الله خبر فخرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وقد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخلها عنوة انه لهلاك قريش إلى آخر الدهر فخرج العباس على بغلة رسول الله (ص) وقال اخرج إلى الاراك لعلي ارى حطابا أو صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس فو الله اني لا طوف بالاراك التمس ما خرجت له اذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت ابا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال ابو سفيان خزاعة ألأم من ذلك قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة يعني اباسفيان فقال ابو الفضل قلت نعم قال لبيك فداك ابي وامي ما وراك فقلت هذا رسول الله (ص) وراك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال بماذا تأمرني قال اركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت اركض ببغلة رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال عمر يا ابا سفيان الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله (ص) وركضت

البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما يسبق به الدابة البطشة الرجل البطيء فدخل عمر فقال يارسول الله هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عقد ولاعهد فدعني اضرب عنقه فقلت يارسول الله اني قد اجرته ثم اني جلست الى رسول الله (ص) واخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني فلما اكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا بالرجل الا انه من بني عبد مناف ولو كان من عدي بن كعب ما قلت هذا فقال عمر مهلا يا عباس فو الله لاسلامك يوم اسلمت كان احب إلي من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله « ص » اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي في الغدات قال فلما اصبحنا غدوت به على رسول الله (ص) فلما رآه قال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي انت وأمي ما اوصلك واكرمك وارحمك واحلمك والله ظننت ان لو كان معه إله لاغنى يوم بدر ويوم أحد فقال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك أن تعلم اني رسول الله فقال بأبي انت وأمي اما هذه فان في النفس منها شيئاً قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل ان تضرب عنقك فتشهد فقال رسول الله « ص » لعباس انصرف به يا عباس فاحبسه عند مضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله قال فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي ومرت عليه القبائل قبيلة قبيلة وهو يقول من هؤلاء ومن هؤلاء وأقول اسلم وجهينة وفلان وفلان حتى مر رسول الله (ص) في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقال من هؤلاء يا أبا الفضل قلت هذا رسول الله في المهاجرين والانصار فقال

يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم إذا وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله واسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما إلى قريش بين يديه يدعوانهم إلى الاسلام وقال من دخل دار ابي سفيان وهي بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن اغلق بابه وكف يده فهو آمن ولما خرج ابو سفيان وحكيم عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير بن العوام وأمره على خيل المهاجرين وأمره ان يغرز رايته بالحجون من أعلى مكة وقال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله مكة وضربت هناك خيمته وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمته وبعث خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضاعة وبني سليم وأمره أن يدخل من اسفل مكة ويغرز رايته دون البيوت وأمرهم رسول الله جميعاً ان يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم وأمرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن ابي سرح والحويرث بن نفيل وابن خطل ومقيس بن ضبابة وامرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله (ص) وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فقتل علي (ع) الحويرث بن نفيل واحدى القينتين وافلتت الأخرى وقتل مقيس بن ضبابة في السوق وادرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله

قال وسعى ابو سفيان الى رسول الله (ص) وأخذ ركابه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله اما تسمع مسعدا ما يقول انه يقول :

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة

فقال رسول الله (ص) ادركه فخـــذ الراية منه وكن انت الذي يدخل بها وادخلها ادخالا رفيقاً فأخذها علي وادخلها كما امر (ص) ولما دخل رسول الله مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم وانى رسول الله (ص) ووقف قائماً على باب الكعبة فقال لا إله إلا الله وحده وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، الا ان كل مال اومأثرة ودم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودتان الى اهليهما الا ان مكة محرمة بتحريم الله تعالى ولم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وهي محرمة إلى ان تقوم الساعة لايختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولاتحل لقطتها إلا لمنشد ثم الالبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وآذيتم ثم مارضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم كأنما انشروا من القبور ودخلوا في الاسلام وكان الله تبارك وتعالى امكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيأ فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء وجاء ابن الزبعرى الى رسول الله (ص) فاسلم وقال :

يا رسول الله ان لساني راتق ما فتقت اذا ناور
اذ أبارى الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي ثم نفسي الشهيد انت النذير

ودخل النبي (ص) مكة يوم دخل وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فطهر البيت الحرام بازالتها عنه فهي تتكسر كالقوارير وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً .

أبو لهب وامرأته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * تبت يدا ابى لهب وتب * ما اغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد * ﴾ .

أبو لهب بن عبد المطلب عم النبي (ص) واشتد الناس عداوة له وتألباً عليه ، قال طارق المحاربي : بينما انا بسوق ذي المجاز اذ أنا بشاب يقول : أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا برجل خلفه يرميه بالحجارة قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم انه نبي وهذا عمه ابولهب يزعم انه كذاب ، ولما انذره النبي (ص) بالنار قال أفتدى بولدى ومالي فأنزل الله تعالى ﴿ ما اغني عنه ماله وما كسب ﴾ .

وحدث ابو رافع مولى رسول الله (ص) قال : كنت غلاماً للعباس ابن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت اسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من

قريش كبته الله واخزاه ووجدنا فى انفسنا قوة وعزا قال وكنت ضعيفاً وكنت اعمل القداح انحتها فى حجرة زمزم فو الله انى لجالس فيها انحت القداح وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جائنا من الخبر إذ أقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينما هوجالس اذ قال الناس هذا ابوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب قد قدم فقال ابو لهب هلم الي يا ابن اختى فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اختي اخبرني كيف كان امر الناس قال لاشيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضاً على خيـــل بلق بين السماء والارض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع : فرفعت طرف الحجرة بيدى وقلت تلك الملائكة قال فرفع ابو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجـلا ضعيفاً فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثاً مايدفنانه حتي انتن فى بيته وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لاتغيبانه فقالا انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه باعلى مكة إلى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه .

واما امرأته فهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان تلقب بالعوراء كانت كزوجها في العداوة لرسول الله (ص) حمالة الحطب كانت تحمل الشوك والغضا فتطرحه في طريق رسول الله ليعقره فيطأه كما يطأ احدكم الحرير على رغم انفها وتمشي بالنميمة بين الناس فتلقى بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطباً وهي حمالة الخطايا نظير قوله تعالى ﴿ وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ﴾ والكل محتمل من امثالها ، فقد كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت لأنفقنها في عداوة محمـــد .

وروي عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت هذه السورة اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول :

مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا

والنبي جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال رسول الله انها لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال الله تعالى ﴿ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون حجاباً مستوراً ﴾ فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني في كتابه فقال لا ورب البيت ما هجاك قال فولت وهي تقول :

قريش تعلم انى بنت سيدها

وفي الاخير ماتت ميتة قبيحة وحشرت مع الظالمين الكافرين في جيدها حبل من مسد وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

أقول ومن يشابه أبه فما ظلم هذه ابنة حرب الذي لا زال حربا لرسول الله صلى الله عليه وآله واخوها أبو سفيان بن حرب الذي نصب العدى لرسول الله ﷺ في الجاهلية والاسلام اما في الجاهلية فهو القائد الأعظم لقريش في اكثر غزوه مؤلباً على رسول الله القبائل واما في الاسلام فانه قد اسلم كرها وخوفا ولا زال يكيد الاسلام اولا وآخراً فقد روى عنه المؤرخون انه جاء الى مجلس لبني أمية بعد ما كف بصره فوقف على الباب وقال يا بني أمية هل فيكم من يحتشم قالوا لا وكان علي عليه السلام حاضراً ولم يجسروا ان يقولوا نعم لمكانه فقال ابو سفيان يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به ابو سفيان ما من جنة ولا نار فو الله لقد ملك اخو عدى حتى هلك وهلك اخوتيم حتى هلك وهلك ذكره ولم يرض ابن ابي كبشة حتى قرن اسمه باسم ربه فلا يقول قائل أشهد أن لا إله إلا الله حتى يقول أشهد أن محمداً رسول الله فقام اليه علي عليه السلام وقال اسخن الله عينك يا أبا سفيان لم يكن هو الذي وضع اسمه بل الله تعالى فعل ذلك فقال أبو سفيان يا أبا الحسن اسخن الله عين من قال لم يكن هنا احد فانظر اليه وأمثاله كيف كان اسلامهم .

— ٩٧ —

النفاثات في العقد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ .

ذكر المفسرون ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر لرسول الله (ص) ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فبينما هو (ص) نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فاخبراه بذلك وانه في بئر ذروان في جف طلعه تحت راعوفة حجر في اسفل البئر والجف قشر الطلع والراعوفه حجر في أسفل البئر يقوم عليها الماتح فانتبه رسول الله (ص) وبعث علياً والزبير وعماراً فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة واخرجوا ذلك الجف فاذا فيه مشاطة رأس واسنان من مشطه واذا هو معقد فيه احدي عشرة عقدة مغروزة بالأبر فنزلت هاتان السورتان وهما المعروفتان بالمعوذتين فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت كلها فقام رسول الله (ص) كانما نشط من عقال وجعل جبرئيل يقول : بسم الله ارقيك من شر كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك .

— ٩٨ —

الوسواس الخناس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله سبحانه خنس واذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس وقيل اول ما يبدو الوسواس من الوضوء وانه يوسوس في صدور

الناس يلقي الشغل في قلوبهم بوسواسه وان له رفيقا يوصل الى الصدر الوسواس حتى يتحكم فيوقعه فيما يكره وياتى لابن آدم كناصح من حيث يهوى ومن قصصه في ذلك مانقل انه كان في بني اسرائيل عابد لم يعارف من أمر الدنيا شيئا فنخر ابليس نخره فاجتمع اليه جنوده فقال من لي بفلان فقال بعضهم انا فقال من اين تأتيه قال من ناحية النساء قال لست له انه لم يجرب النساء فقال له آخر فانا له قال من اين تأتيه قال من ناحية الشراب واللذات قال لست له ليس هذا لهذا فقال آخر فانا له قال من اين تأتيه قال من ناحية البر قال فانطلق فانت له وصاحبه فانطلق الى موضع فاقام الى حذائه يصلي قال وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ويستريح والشيطان لا يستريح فتحول اليه الرجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على هـذه العبادة فلم يجبه ثم اعاد عليه فقال عبد الله اني اذنبت ذنبا وقد تبت منه ورجعت الى ربي فاذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة قال فاخبرني بذنبك حتى اعمله وأتوب فاذا فعلته قويت على الصلاة قال ادخل المدينة فسل عن فلانه البغية فاعطيها درهمين ونل منها قال ومن اين لي الدرهمان وما ادري ما الدرهمين فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله اياها فقام ودخل المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغية فارشده الناس وظنوا انه جاء يعظها فجاء اليها بالدرهمين وقال لها قومي فقامت اليه ودخلت منزلها وقالت ادخل فدخل فقالت انك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فاخبرني بخبرك فاخبرها فقالت له يا عبد الله ان ترك الذنب أهون من طلب التوبة وليس كل من طلب التوبة وجدها وانما

ينبغي ان يكون هذا شيطانا مثل لك فانصرف فانك لا ترى شيئاً فانصرف وماتت من ليلتها فاصبحت واذا على بابها مكتوب احضروا فلانه فانها من أهل الجنة فارتاب الناس ومكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتيابا في أمرها فاوحى الله عزوجل إلى نبي من الانبياء لا اعلمه إلا موسى بن عمران صلى الله عليه ان آت فلانه فصل عليها وأمر الناس أن يصلوا عليها فاني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدي فلاناً عن الخطيئة .

وهذا آخر ما جرى به القلم في هذه العجالة مما تيسر من قصص القرآن والافهى اوسع من ذلك ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم وصلى الله على سيدنا ومحمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين .

مصادر الكتاب

القرآن المجيد

مجمع البيان عشرة مجلدات وهو مصدرنا الوحيد في النقل للعلامة الطبرسي

الصافي في التفسير	للعلامة الفيض
آلاء الرحمن	للعلامة البلاغي
الارشاد	للشيخ المفيد
حياة الحيوان	الدميري
لقمان الحكيم	للمؤلف
مغني القراء	للمؤلف مخطوط

فهرست قصص القرآن

الصفحة	رقم القصة	
٢		فاتحة الكتاب
٣		المقدمة
٦	١	قتل فرعون لابناء بني إسرائيل
٧	٢	غرق فرعون وقومه فى البحر
٨	٣	العجل والسامري
٩	٤	بقرة بني إسرائيل
١٢	٥	أول من نزل المدينة قبل الهجرة
١٤	٦	قصة هاروت وماروت
١٦	٧	زيارة ابراهيم لولده اسماعيل
١٨	٨	قصة مهاجرة اسماعيل وهاجر
٢١	٩	لا يدفع القدر الحذر
٢٢	١٠	داود وجالوت
٢٣	١١	وفد نجران
٢٥	١٢	حفر خندق المدينة
٢٧	١٣	وفد نجران والمباهلة
٢٩	١٤	غزوة أحد
٣٥	١٥	غزوة بئر معونة

الصفحة	رقم القصة	
٤٢	١٧	التيـــه
٤٤	١٨	قابيل وهابيل
٤٦	١٩	زان وزانية من اليهود
٤٩	٢٠	التصدق بالخاتم وان عليا ولي الله
٥٠	٢١	وفود النبي للحبشة
٥٢	٢٢	المؤمر المقصود به الخير
٥٤	٢٣	المائدة
٥٦	٢٤	مولد ابراهيم والآيات
٥٨	٢٥	نوح وقومه
٥٩	٢٦	هود وقومه
٦١	٢٧	صالح وقومه والناقة
٦٤	٢٨	لوط وقومه
٦٦	٢٩	الآيات المفصلات
٦٩	٣٠	المســـخ
٧٠	٣١	بعلم بن باعورا
٧٣	٣٢	بدر الكبرى
٧٦	٣٣	بدر الكبرى ايضا
٨٠	٣٤	بين علي والعباس وطلحة
٨١	٣٥	حنين

الصفحة	رقم القصة	
٨٥	٣٦	من البخل
٨٦	٣٧	يونس
٨٨	٣٨	سفينة نوح
٨٩	٣٩	أمرأة خائنة
٩٠	٤٠	يوسف
١٠٩	٤١	في القبر
١١١	٤٣	عاقبة الفساد في بني اسرائيل
١١٦	٤٤	أهل الكهف
١٢٠	٤٥	موسى والخضر
٢٢٢	٤٦	ذو القرنين
١٢٥	٤٧	يوم القيامة
١٢٧	٤٨	النبي وعشيرته
١٢٨	٤٩	أهل الافك
١٣٠	٥٠	الملاعنة
١٣٢	٥١	الظلم
١٣٣	٥٢	الرس
١٣٧	٥٣	سليمان وبلقيس
١٤١	٥٤	قارون
١٤٤	٥٥	لقمان الحكيم
١٤٦	٥٦	الرجاء الفاشل
١٤٧	٥٧	غزوة الخندق
١٥٥	٥٨	بنو قريضة
١٥٨	٥٩	النبي وأزواجه
١٥٩	٦٠	الكساء
١٦٠	٦١	زينب بنت جحش
١٦٢	٦٢	بناء بيت المقدس
١٦٤	٦٣	سبأ وسيل العرم
١٦٦	٦٤	في انطاكية
١٦٩	٦٥	الذبيح
١٧٠	٦٦	النبي وثقيف
١٧٣	٦٧	الحديبية
١٧٨	٦٨	خيبر
١٨٠	٦٩	وفد من تميم
١٨٣	٧٠	الافتراء
١٨٤	٧١	من النواهي
١٨٦	٧٢	القمر
١٨٧	٧٣	الانبياء وامهم

الصفحة	رقم القصة	
١٨٨	٧٤	الظهار
١٩٠	٧٥	مجلس رسول الله ومناجاته
١٩٢	٧٦	بنو النضير
١٩٤	٧٧	عابد بني اسرئيل
١٩٥	٧٨	حاطب بن ابي بلتعة
١٩٧	٧٩	الجمعـــة
٢٠٠	٨٠	تعارض الدنيا والآخرة
٢٠١	٨١	المنافقون
٢٠٤	٨٢	زوجات النبي
٢٠٦	٨٣	سائل العـذاب
٢٠٧	٨٤	الوليد بن المغيرة المخزومي
٢٠٩	٨٥	النذر ٢١١ ٨٦ من أهل المحشر
٢١٢	٨٧	جبرئيل ٢١٤ ٨٨ أصحاب الاخدود
٢١٧	٨٩	جنة عاد ٢١٩ ٩٠ المرصاد
٢٢٠	٩١	نخلة ٢٢٢ ٩٢ غزوة ذات السلاسل
٢٣٤	٩٣	أصحاب الفيل ٢٣٩ ٩٤ رحلة الشتاء والصيف
٢٣١	٥٠	فتح مكة ٢٣٨ ٩٦ أبو لهب وامرأته
٢٤١	٩٧	النفاثات في العقد ٢٤٢ ٩٨ الوسواس الخناس

2 2879

VETVS
NOVVM
TESTA
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
July-August 1988
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 057498576